العذراء والطفل يسوع

القدِّيسة العذراء مريم تبسط يديها بالصلاة وفي أحشائها الطفل يسوع، وهي ترتدي ملابس غامقة اللون، وتتوشَّح بوشاح مطرَّز بالذهب. ويُرى الطفل يسوع داخل أيقونة مستديرة، وفي أعلى الصورة من حول العذراء من اليمين ومن اليسار ملاكان: رئيس الملائكة ميخائيل ورئيس الملائكة غبريال، وكلٌّ واحدٍ منهما يمسك بمجمرة من الذهب والتي تُشير إلى بتولية العذراء وطهارتها.

(من دير سانت كاترين – سيناء – القرن الثالث عشر الميلادي)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٩ ديسمبر ٢٠٢٥م.

العدد ٦٦٩ هاتور / كيهك ١٧٤٢ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

هدف الوحدة المسيحيَّة..... ١

أخبار الكنيسة:

انعقاد المؤتمر العالمي السادس للجنة الإيمان والنظام.... ٦

مقال للأب متى المسكين:

معجزة التجسُّد الإلهي ١٥

من أقوال الآباء:

عظة عن التجسُّد الإلهي..... ٢٢

بمناسبة شهر كيهك المبارك:

فوائد قراءات شهر كيهك المبارك (١) ٢٥

ادخل إلى العمق (٥٧):

الأولويَّات المقدَّسة في الحياة المسيحيَّة ٣٢

من التراث الكنسي: معرفة الله (٢٤) ٣٦

بحث تاريخي:

أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار جرجس القبطيَّة (٢)... ٤٢

تقديم كتاب: الأدلَّة على وجود الله وظهوره ٤٦

الفهرس العام لمقالات المجلة عام ٢٠٢٥م ٤٩

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 68 - 70 ..... ٥٦

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس إيرينيئوس

اشترك في كياننا، ليجعلنا نشترك في كيانه

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❀✝❀

[(...) إنك تتَّبع المُعَلِّمَ الثابتَ الحقيقيَّ،
كلمةَ اللهِ يسوعَ المسيحَ ربَّنا،
الَّذي من أجل محبَّته الفائضة،
اشترك في كياننا،
لكي يجعلنا نشترك في كيانه[1].
لأنَّه لم يكن مُمكنًا أن نتعلَّم أمور الله
ما لم يكن مُعلِّمُنا،
وهو نفسه اللوغوس، قد صار إنسانًا.
لأنَّه لم يكن هناك ابنٌ آخَر
يُخَبِّرنا بأمور الآب، سوى كَلِمَتِه الأزليِّ.
لأنَّ مَن غَيرُهُ «عَرَفَ فكرَ الربِّ؟»
أو مَن غَيْرُهُ «صَارَ لَهُ مُشِيرًا؟»
(إش ٤٠: ١٣؛ رو ١١: ٣٤).
فلم يكن مُمكنًا أن نتعلَّم بطريقةٍ أخرى،
سوى بأنْ نرى مُعَلِّمَنا،
وبِآذانِنا نشترك في سماع صوته،
ونصير مُتَمَثِّلين بأفعاله وصانعين كلماته،
فتكون لنا شَرِكَةٌ معه،
وننال نُمُوًّا من ذاك الكامل، الكائن قبل كلِّ خليقة].

(ضد الهرطقات، الكتاب الخامس: مقدِّمة، ١)

---

(١) الترجمة الحرفية لنصّ القدِّيس إيرينيئوس: "قد صار ما نحن لكي يجعلنا نكون ما هو".

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات:
عن طريق خدمة أورانج كاش
وفودافون كاش
الخاصة بأرقام تليفون المجلة
وهي:
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
وتبدأ سنة الاشتراك
في يناير من كل عام
مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)
٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُحصِّل
٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:
خدمة أورانج كاش وفودافون كاش
١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٥
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

الافتتاحية

هدف الوحدة المسيحيَّة[١]

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

السيِّد السكرتير العام لمجلس الكنائس العالمي،
المُنسِّق العام للَّجنة المركزيَّة لمجلس الكنائس العالمي،
المُنسِّق العام للجنة الإيمان والنظام،
مدير وحدة الإيمان والنظام،
الضيوف الكرام، السادة الحضور،

أودُّ أنْ أُرحِّب بكم في مصر في مركز لوغوس للمؤتمرات، وفي هذا المكان المقدَّس، في دير القدِّيس الأنبا بيشوي في وادي النطرون – بريَّة شهيت، والتي كانت إشعاعًا وإلهامًا للحياة الرهبانيَّة منذ القرن الرابع الميلادي.

كان مجمع الرُّسُل في أورشليم، الذي ناقش مشكلة التهوُّد والتحوُّل مِن الخلفيَّة اليهوديَّة إلى الإيمان المسيحي، هو أساس فكرة المجامع الكنسيَّة. لأنَّ كلَّ مجمعٍ عُقد كان وراءه قضية أو مشكلة. وكان هناك حوار ومناقشة. وكان هناك قائد وإدارة. وكان روح الله القدوس، هو روح القوَّة والمحبة والنُّصح والنجاح لأيِّ مجمعٍ كنسي.

تعلمون أنَّ مجمع نيقية قد دعا إليه الإمبراطور قسطنطين الكبير، بعد أن أصبحت المسيحيَّة ديانةً مسموحًا بها في الإمبراطوريَّة الرومانيَّة بهدف تحقيق وحدة الإيمان، وذلك بعد ظهور انقساماتٍ عقائديَّة حادة.

كانت القضية قد صَدَرَت مِن أريوس كاهن في الاسكندرية، الذي كان يُعلِّم بأنَّ الابن ليس مساويًا للآب في الجوهر؛ بل هو مخلوقٌ من الله، وله بداية في الزمن. هذا التعليم هدَّد

---

(١) الكلمة التي ألقاها قداسة البابا في مستهل الجلسة الافتتاحية لأعمال المؤتمر العالمي السادس للجنة الإيمان والنظام التابعة لمجلس الكنائس العالمي (WCC)، يوم ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٥م.

وحدة الإيمان المسيحي، فأُثيرت ضجة كبيرة في الكنيسة. وهذا يُنبِّهنا إلى خطورة التفسير والتعليم المُنفرد دون العودة إلى الجذور، متمثِّلةً في الأناجيل المقدَّسة، وتعليم الآباء القدِّيسين مُعلّمي الكنيسة.

وهنا انعقد المجمع بحضور ما يقرب من ٣١٨ أسقفًا من مختلف أقاليم العالم، والذي حضره البابا ألكسندروس البطريرك القبطي في الإسكندريَّة ومعه شمَّاسه الشاب أثناسيوس، هذا الذي لعب دورًا مُحوريًّا في الدفاع عن لاهوت الابن.

واتَّخذ المجمع عِدَّة قرارات أدانت فيها تعليم أريوس، وحرمته من الشركة المقدَّسة. كذلك أقرَّ المجمع لاهوت الابن باعتباره مولودًا غير مخلوق، مساويًا للآب في الجوهر. وكذلك صياغة قانون الإيمان النيقاوي، الذي أصبح المرجع الأساسي للعقيدة المسيحيَّة الجامعة. كما حدَّد المجمع أيضًا موعد عيد القيامة ليُحتَفَل به في كلِّ كنائس العالم في يومٍ واحد مُنفصلًا عن التقويم اليهودي. وأصدر المجمع أيضًا عددًا من القوانين الكنسيَّة المُتعلِّقة بالنظام الكهنوتي والانضباط الكنسي.

وهكذا أسَّس المجمع نموذجًا جديدًا للحوار الكنسي المسكوني، إذ جمع أساقفة من شتَّى أنحاء العالم، وأرسى مبدأ أنَّ الحقَّ الإيماني يُحسَم مِن خلال المجامع الجامعة، وليس من خلال الآراء الفرديَّة.

ومِن الناحية السياسيَّة، مثَّلَ مجمع نيقية أول تعاون رسمي بين الكنيسة والدولة الرومانيَّة، حين تدخَّل الإمبراطور قسطنطين ليضمن وحدة الإيمان حفاظًا على وحدة الإمبراطوريَّة. ومن هنا بدأت علاقة جديدة بين السُّلطة الزمنيَّة والسُّلطة الروحيَّة، علاقة كان لها أثرٌ بالغ في تاريخ المسيحيَّة عَبْر العصور اللاحقة.

إنَّ مجمع نيقية المسكوني لم يكن مجرَّد حدثٍ لاهوتي، بل لحظة تاريخيَّة أسَّست لهويَّة الكنيسة الجامعة. ففيه حُفِظ الإيمان المستقيم مِن الانحرافات ومن الهرطقات، وأُرسِيَ أساس قانون الايمان الذي لا يزال حتى اليوم يُتلى في الليتورجيَّة في سائر كنائس العالم. ومِن ثمَّ يمكن القول إنَّ نيقية كانت نقطة الانطلاق الحقيقيَّة لشرح العقيدة المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة بصيغتها الجامعة، ومثالًا دائمًا لدور المجامع في حفظ الإيمان الواحد المقدَّس الرسولي الذي تسلَّمناه من الرُّسُل والآباء القدِّيسين، وحُفِظَ في كنيسة الله عَبْر الأجيال.

والآن أين نحن ومجمع نيقية والوحدة المنظورة؟

يأتي اجتماع لجنة الإيمان والنظام في إطار الاحتفال بتذكار مجمع نيقية المسكوني الأول عام ٣٢٥م. والذي يُعدُّ من أهم الأحداث المفصليَّة في تاريخ الفكر المسيحي واللاهوت الكنسي، إذ شكَّل نقطة تحوُّل في تحديد معالم الإيمان القويم وصياغة العقيدة الجامعة التي توارثتها الكنيسة عَبْر الأجيال.

إنَّ استحضار ذِكْرى مجمع نيقية، ليس مجرَّد احتفال بالماضي؛ بل هو دعوة مُتجدِّدة للثبات في الإيمان الرسولي، وللانفتاح على حوارٍ بنَّاء يجمع الكنائس في مسيرةٍ نحو الوحدة الحقيقيَّة القائمة على الإيمان والحقِّ والمحبة.

فما أعلنه آباء نيقية عن الإيمان بالابن بأنه إلهٌ واحد، إلهٌ حقٌّ مِن إلهٍ حق، مولودٌ غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر؛ يبقى حجر الزاوية الذي عليه تُبنى العقيدة المسيحيَّة في كلِّ زمانٍ ومكان.

وهكذا يُشكِّل هذا الاجتماع فرصةً للتأمل في أمانة الكنيسة في حفظ الإيمان، وتأكيدَ رسالتها في عالمٍ يشهد تعدُّديَّةً فكريَّةً وثقافيَّة، مِمَّا يجعل من مسؤوليَّة لجنة الإيمان والنظام أنْ تواصل سعيها لتجديد الشهادة للحقِّ الإلهي في إطار الوحدة الكنسيَّة الشاملة.

هدف الوحدة المسيحيَّة هو هدفٌ نبيل، وهو أنْ نكون **بالحقيقة واحدًا في المسيح،** نكون أعضاءً في الجسد الواحد. هذه الوحدة التي صلَّى مِن أجلها إلهنا الصالح: "ليكون الجميع واحدًا، كما أنك أرسلتني".

نحن نؤمن أنَّ **الوحدة الحقيقيَّة هي وحدة الإيمان،** ويكون واقعها أنْ نكون في شركةٍ كاملة في الأسرار المقدَّسة: "ربٌّ واحد، ايمانٌ واحد، معموديةٌ واحدة".

نحن نؤمن أنَّ الطريق إلى الوحدة ليس سهلًا. فالخلافات التي نشأت بعد نيقية، فصلت الكنيسة، وظلَّت إلى سنواتٍ كثيرة وحتى إلى يومنا هذا. ولن تُحلَّ هذه الخلافات إلَّا بالحوارات اللاهوتيَّة.

لقد رأى الآباء أنَّ الحِفاظ على وحدانية الجسد الواحد هو دعوةٌ إلهيَّة ومسؤوليةٌ كنسيَّة تُمارَس في روح المحبة والوداعة والاتِّضاع، مقرونة بمعرفة الحقِّ والتعليم المستقيم.

لذلك لم يتردَّدوا في مواجهة كلِّ مَن حاول أن يُمزِّق الجسد الواحد، سواء بالبدع أو بالانقسامات أو الانحرافات العقائديَّة أو التعاليم الغريبة، التي ليست بحسب روح الإنجيل وتعليم الآباء.

وقد تجلَّى هذا الحرص بصورةٍ خاصة في المجامع المسكونيَّة، وفي مقدِّمتها مجمع نيقية، حيث وقف الآباء صفًّا واحدًا دفاعًا عن الإيمان الرسولي ضد بدعة أريوس، مؤكِّدين أنَّ وحدة الإيمان هي الضمان لوحدة الكنيسة الجامعة.

من القضايا اللاهوتيَّة والكنسيَّة التي تكتسب أهمية خاصة في زماننا الحاضر، هي مسألة الحوار بين الكنائس. فكما اجتمع الآباء في نيقية بروح الشركة للوصول الى تعبيرٍ إيمانيٍّ جامع؛ كذلك تدعو الكنيسة اليوم إلى حوارٍ يقوم على الفهم المُتبادَل والاحترام المُتبادَل في إطار الإيمان الواحد.

وثمَّة سؤال جوهريّ يفرض نفسه في هذا السياق: لماذا نتحاور؟ لا بدَّ أنْ يكون قصدنا ورسالتنا واضِحَين قبل الانخراط في أيِّ حوارٍ لاهوتي، حتى لا يتحوَّل الحوار الى جدلٍ أو مجرد تبادُل آراء بلا هدف.

إنَّ الغاية الأساسيَّة من الحوار، هي معرفة الآخر وفهمه، والسَّعي لاكتشاف كيف يُعبِّر كلُّ تقليد كنسي عن الإيمان المُشترك بطريقةٍ مُميَّزة تُعبِّر عن غِنَى التراث!

فالحوار الحقيقي لا يقوم على فرض الرأي أو الدفاع عن الذات، بل على الاستماع المُتبادَل الذي يُتيح للآخر أنْ يُعبِّر بحريَّة وانفتاح عن إيمانه، في ضوء الحقِّ المُعلَن في المسيح، الذي هو الطريق والحق والحياة. ويُعدُّ الحوار اللاهوتي بهذا المعنى مسيرةً نحو الفهم المُشترك بقضايا الإيمان، وليس سعيًا لإلغاء الاختلافات أو إذابتها، بل للتعرُّف على عُمق الإيمان الواحد الذي يوحِّد الكنيسة الجامعة.

وقد عبَّر أحد الآباء المُعاصرين عن هذا، فقال: "إنَّ الحوار ليس تنازُلًا عن الإيمان، بل هو شهادة للحقِّ في روح المحبة".

إنَّ الحوار اللاهوتي يقوم أوَّلًا على فن الإصغاء، لأنَّ الاستماع هو الطريق إلى الفهم المُشترك. فحينما يُعطَى لكلِّ طرفٍ المجالُ ليُعبِّر بحريَّةٍ وانفتاح عن إيمانه، تُفتَح أمام الكنيسة آفاقٌ جديدة للتقارُب والوحدة. ومِن هنا لا يُراد بالحوار إلغاء الاختلافات أو إنكار التنوُّع؛ بل التعرُّف على الأصل.

في ضوء هذا الفهم، نؤكِّد أنَّ الحوار ليس تنازُلًا عن الإيمان أو تصريفًا في العقيدة؛ بل هو شهادةٌ للحقِّ في روح المحبة، وسعيٌ مستمر نحو تحقيق الوحدة، تلك التي صلَّى المسيح من أجلها قائلًا: «لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا، كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ».

السادة الحضور،

حضوركم إلى مصر، في استضافة الكنيسة القبطيَّة، في هذا المكان الذي عاش فيه الآباء النُّسَّاك وفيه آثار قدِّيسين عظماء من آباء رهبان، فليكن إلهامًا لنا جميعًا كيف كانت الحياة والعلاقة بين القدِّيسين، كالقدِّيس الأنبا أثناسيوس وعلاقته بالقدِّيس الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان. هذه التلمذة والصداقة الروحيَّة أثَّرت في الكنيسة كلها بالروحانيَّة. فالصلاة التي صاحبت حياة أنطونيوس الكبير، ظهرت في نقاوة تعاليم أثناسيوس، التي كانت ممزوجة بحياة التَّقوى.

أدعوكم في هذا الوقت المُبارك، وخلال وجودكم بيننا، أن تتعرَّفوا على كنيستنا القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، هذه الكنيسة العريقة التي تحمل إيمانها القويم وتُراثها الآبائي العميق إيمانًا قد رُوِيَ بدماء الشهداء عَبْر الأجيال، وحُفِظَ بأمانةٍ عَبْر العصور، كوديعة مُقدَّسة تسلَّمناها من الآباء الأوَّلين.

كما أدعوكم أنْ تتعرَّفوا على بلادنا مصر، أرض الكرازة المرقسيَّة التي تخضَّبت بدماء المسيحيين منذ فجر التاريخ، وشهدت ميلاد الرهبنة، وازدهار اللاهوت والروحانيَّة. إنَّ مصر بتاريخها العريض وحضارتها المُمتدَّة عَبْر آلاف السنين، ما زالت تُقدِّم للعالم شهادةً حيَّة عن الإيمان الثابت والمحبة الجامعة.

إنَّه مِن دواعي فخرنا وسرورنا أنْ نُرحِّب بكم في كنيستنا القبطيَّة وفي وطننا مصر، التي تتشرَّف اليوم باستضافة هذا الحدث الهام في مسيرة مجلس الكنائس العالمي وفي تاريخ وحدة الإيمان والنظام.

إنَّ اجتماعنا هذا، يُعدُّ علامةً مُضيئة، تؤكِّد أنَّ مصر، ومعها منطقة الشرق الأوسط وأفريقيا، ما زالت تُشكِّل جسرًا حيًّا بين الكنائس، ومكانًا يحمل رسالة الرجاء والوحدة أمام أنظار العالم المسيحي أجمع.

فلنرفع قلوبنا شاكرين الله الذي جَمَعَنا في هذا اللقاء المُبارك، سائلين أنْ يمنحنا روح الحكمة والفهم، لكي نواصل المسيرة نحو تحقيق وحدة الإيمان في الحقِّ والمحبة.

ولنُصلِّ معًا أنْ يكون هذا الاجتماع ثمرةً جديدةً في طريق الوحدة والحوار والبُنيان المُشترك بين الكنائس، وأن تبقى كنيستنا القبطيَّة وبلادنا مصر منارةً للإيمان، شاهدةً لوحدة الكنيسة الجامعة في كلِّ العصور. وأشكركم كثيرًا

انعقاد المؤتمر العالمي السادس للجنة الإيمان والنظام

تحت رعاية الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة

من يوم ٢٤ إلى يوم ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٥م

✣✝✣

في مشهدٍ روحيٍّ بديع يجمع القلوب والعقول من مختلف كنائس العالم، انطلقت في مركز لوغوس الباباوي للمؤتمرات الكنسيَّة بدير القدِّيس الأنبا بيشوي في وادي النطرون، أعمال المؤتمر العالمي السادس للجنة الإيمان والنظام التابعة لمجلس الكنائس العالمي (WCC)، تحت الشِّعار: "إلى أين الآن من أجل الوحدة المنظورة"؟

ويُعدُّ هذا الحدث من أكبر التجمُّعات اللاهوتيَّة المسكونيَّة في العصر الحديث، إذ يُشارك فيه نحو ٤٠٠ مندوب من الكنائس الأرثوذكسيَّة والكاثوليكيَّة والإنجيليَّة والأنجليكانيَّة من شتَّى أنحاء العالم، في عامٍ يتزامن مع الاحتفال بمرور ١٧٠٠ عام على انعقاد مجمع نيقية المسكوني الأول (٣٢٥م)، الذي كان علامةً فارقة في تاريخ الكنيسة الجامعة.

❖ يوم ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٥م:

استهلَّ قداسة البابا تواضروس الثاني، بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، الجلسة الافتتاحية بكلمةٍ روحيَّة عميقة حملت نبرة محبة ورجاء، رحَّب فيها بضيوف مصر.

(وقد نُشِرَت هذه الكلمة في افتتاحية المجلة لعدد ديسمبر ٢٠٢٥م).

بعد كلمة قداسة البابا، ألقت البروفيسور القس الدكتورة ستيفاني ديتريش كلمتها، قائلة: "نشكر قداسة البابا تواضروس الثاني والكنيسة القبطيَّة على كرم الضيافة، في هذا المكان المقدَّس الذي تشهد رماله وصلواته على قرونٍ من الحياة الرهبانيَّة التي نُسِجَت في قلب الصحراء المصرية".

وأشارت إلى أنَّ هذا المؤتمر يأتي بعد اثنين وثلاثين عامًا من آخر لقاء عالمي للإيمان والنظام في سانتياغو دي كومبوستيلا.

واختتمت كلمتها بالدعاء قائلةً: "ليُضيء الثالوث القدوس طريقنا، ويقودنا إلى الشركة الحقيقيَّة في المسيح، حتى نكون واحدًا كما أراد الربُّ في صلاته من أجلنا".

قداسة البابا تواضروس الثاني يُلقي كلمته أمام وفد مجلس الكنائس العالمي

❖ يوم ٢٥ أكتوبر ٢٠٢٥م:

شهدت جلسة هذا اليوم كلماتٍ رئيسيَّة من صاحب النيافة الكاردينال كورت كوخ، رئيس دائرة تعزيز وحدة المسيحيِّين في الفاتيكان؛ ومن نيافة الأسقف الدكتور كيرلس، الأسقف العام في لوس أنجلوس للأقباط الأرثوذكس .

وقد نقل الكاردينال كوخ إلى المُشاركين تحيَّات وبركة قداسة البابا لاون الرابع عشر، مُشيرًا إلى أن مجمع نيقية كان محطَّةً مسكونيَّةً فريدة في تاريخ الكنيسة، وقال: "إنَّ قانون الإيمان النيقاوي ما يزال حتى اليوم يجمع جميع الكنائس في وحدة الإيمان بالثالوث القدوس، وإذا انعكس تأملنا في سرِّ الله الواحد المثلث الأقانيم على هويَّة الكنيسة، فإنَّ الذِّكرى الـ ١٧٠٠ لنيقية قد تصبح علامةً فارقةً على طريق الوحدة المرجوَّة".

وأضاف نيافته: "إنَّ نيقية ليست ذِكْرى ماضية فحسب، بل هي نبوءة للحاضر، ودعوة لإعادة اكتشاف ما يوحِّدنا في المسيح".

ومن جهته، أكَّد نيافة الأسقف كيرلس أنَّ مجمع نيقية كان فارقًا في صياغة الإيمان المسيحي، ليس فقط من حيث تعاليمه الثالوثية، بل أيضًا لرؤيته الجامعة لوحدة الكنيسة.

وتوالت خلال اليوم جلساتُ الصلاة الصباحيَّة والمسائيَّة، حيث اجتمع المُشاركون في خيمةٍ كبيرة خُصِّصَت للصلوات والترانيم وقراءات الكتاب المقدَّس بلغاتٍ مُتعدِّدة، مِمَّا أضفى عمقًا روحيًّا على النقاشات اللاهوتيَّة الدائرة.

وبعد ظهر اليوم، عُقِدَ لقاء صحفي موسَّع وكبير، بمُشاركة الأمين العام لمجلس الكنائس العالمي، ورئيسة لجنة الإيمان والنظام، والأمين العام لمجلس كنائس الشرق الأوسط البروفيسور ميشال عبس، ونيافة المطران توماس مطران القوصية ومير، ونيافة المطران أنجيلوس رئيس أساقفة لندن، ونيافة الأنبا أبراهام الأسقف المساعد لإيبارشية لوس أنجلوس وتوابعها، والدكتور أندريه ييفتيتش مدير لجنة الإيمان والنظام.

وأكَّد البروفيسور ميشال عبس أنَّ "انعقاد المؤتمر في مصر له دلالة عميقة، فهي الأرض التي لجأت إليها العائلة المقدَّسة، ومنها انطلقت كرازة القدِّيس مرقس الرسول، وتأسَّس الكرسي المرقسي والبطريركيَّة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، التي تُقدِّم اليوم نموذجًا فريدًا في التنظيم والفعاليَّة وإدارة المؤتمرات الكبرى".

كما صرَّح نيافة الأنبا توماس أنَّ "استضافة الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة لهذا المؤتمر العالمي، تأتي امتدادًا طبيعيًّا لدور كنيسة الإسكندرية في مجمع نيقية الأول. فهي التي شاركت في صياغة قانون الإيمان النيقاوي، وتواصِل اليوم دورها التاريخي في الشهادة للإيمان المستقيم وخدمة وحدة الكنيسة الجامعة".

وأكَّد نيافة الأنبا أنجيلوس أنَّ "استضافة الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة لمؤتمر مجلس الكنائس العالمي، تأتي في إطار دورها التاريخي الرائد في الحركة المسكونيَّة، إذ ظلَّت كنيسة الإسكندرية دومًا جسر تواصُل بين الشرق والغرب، حاملةً رسالة الوحدة في التنوُّع، والشركة في المحبَّة".

وفي ختام اليوم الثاني من أعمال المؤتمر، عَبَّر المُشاركون عن امتنانهم العميق للكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة على كرم الضيافة وحُسْن التنظيم، مؤكِّدين أن ما يجري في وادي النطرون لا يُعدُّ مجرَّد مؤتمر أكاديمي أو لاهوتي؛ بل هو لقاءٌ روحيٌّ يُعيد للذَّاكرة مجمع نيقية الأول، ويُجسِّد حضور الروح القدس العامل في الكنيسة عَبْر الأجيال، ويمنح رجاءً واحدًا لا يخيب في المسيح يسوع رب الكنيسة ورأسها إلى الأبد.

يظهر في منتصف الصورة الأمين العام لمجلس الكنائس العالمي القس جيري بيلاي، ثم يجلس عن يساره نيافة الأنبا توماس مطران القوصية، ثم نيافة الأنبا أنجيلوس رئيس أساقفة لندن، ثم نيافة الأنبا أبرآم الأسقف العام بلوس أنجيلوس

❖ يوم ٢٦ أكتوبر ٢٠٢٥م:

زيارة أديرة وادي النطرون:

جاءت هذه الزيارة كتتويجٍ لأيام المؤتمر المُنعقد في مركز لوغوس الباباوي للكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، وشارَك فيها مندوبون عن كنائس العالم، حملوا في قلوبهم توقًا لاكتشاف عمق الروح القبطيَّة التي أنارت مسيرة الإيمان على مدى قرون.

- **المحطَّة الأولى: دير السيِّدة العذراء برامو‌س:**

وفيها اصطحب الأب الراهب مكاري البراموسي الزائرين في جولتهم وشرح تفاصيل تاريخ الدير، وقدَّم عرضًا غنيًّا عن نشأة الدير في القرن الرابع الميلادي على يد القدِّيس الأنبا مقار الكبير. وفي سكون الصحراء، توحَّدت الأصوات في صلاةٍ مشتركة عبَّرت عن الإيمان الواحد والرجاء المُشترك الذي يجمع الكنائس في جسد المسيح الواحد.

- **المحطَّة الثانية: دير القدِّيس أنبا مقار:**

ثم تابع الوفد رحلته إلى دير القدِّيس أنبا مقار الكبير، الذي أسَّسه القدِّيس مقاريوس الكبير عام ٣٦٠م، وهو أحد أهم مراكز الرهبنة الأرثوذكسيَّة في العالم.

وقد كان في استقبال الوفود ورافقهم في الزيارة الأب الراهب مرقوريوس المقاري، الذي

ألقى كلماتٍ مؤثِّرة عن روحانيَّة الدير وتاريخه المجيد، مُتحدِّثًا عن حياة الرهبان الذين يُكرِّسون أيامهم للصلاة والعمل والخدمة، وعددهم نحو ١٢٠ راهبًا يعيشون في وحدة المحبَّة داخل المجمع الرهباني، بالإضافة إلى عددٍ من الرهبان المتوحِّدين.

زار الوفد كنيسة القدِّيس أنبا مقاريوس، وتباركوا من رُفاته المقدَّسة، وتأمَّلوا في جمال الصمت الرهباني الذي يفيض سلامًا وروح صلاة. ودوَّن المُشاركون انطباعاتهم عن التناغُم العميق بين الحياة الروحيَّة والبساطة الإنسانيَّة التي ميَّزت الدير منذ نشأته الأولى.

مندوبو مجلس الكنائس العالمي في كنيسة القدِّيس أنبا مقار الكبير بديره العامر

- **المحطَّة الثالثة: مركز الأنافورا:**

وفي ختام المسيرة، توجَّهت الوفود إلى مركز الأنافورا، الذي أسَّسه نيافة الأنبا توماس، مطران القوصيَّة ومير، كفضاءٍ مفتوح للحوار والإيمان والتعليم.

استكشف الزائرون مساحات الأنافورا الخضراء ومشاغلها اليدويَّة، وتعرَّفوا على أسلوب الحياة البسيط القائم على العمل والصلاة، حيث يُترجَم الإيمان إلى فعل حبٍّ ملموس تجاه الإنسان والطبيعة. وكانت المحطَّة الأخيرة مناسبة لتأمُّلٍ جماعي حول الشركة والوحدة التي تجمع الكنائس رغم اختلافاتها، ولتجديد الالتزام بخدمة المُصالحة بين المسيحيِّين في أنحاء العالم.

• **في ختام هذا اليوم الروحي:**

عاد المُشاركون إلى مركز لوغوس الباباوي، وهم يحملون في قلوبهم تجربةً روحيَّة لا تُنسَى، مُزدانة بعمق اللقاء مع الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، وبأثر الوجوه الرهبانيَّة التي رافقتهم بمحبةٍ وتواضُعٍ وصمتٍ ناطقٍ بالإيمان.

وقد عَبَّر أحد المُشاركين عن اختباره بكلماتٍ مؤثِّرة قائلًا: "لم نَزُر أديرةً فقط، بل التقينا بروح الكنيسة القبطيَّة التي ما تزال تشهد للمسيح في صمت الصحراء ونور القدِّيسين".

وهكذا اختُتِمَت الرحلة بنعمةٍ مُضاعفة، إذ حملت في طيَّاتها حجًّا مسكونيًّا إلى جذور الإيمان، وتجربةً مُنفتحة للتعرُّف على التُّراث الكنسي، ذلك الذي ينبع من قلب مصر ويفيض على العالم كلِّه بسلام المسيح.

❖ **يوم ٢٧ أكتوبر ٢٠٢٥م:**

لقاء قداسة البابا تواضروس الثاني بوفود الكنائس الأرثوذكسيَّة البيزنطيَّة والكنائس الأرثوذكسيَّة الشرقيَّة القديمة:

رحَّب قداسة البابا بوفود هذه الكنائس المُشتركة في مؤتمر لجنة الإيمان والنظام، مُعربًا عن سعادته بزيارتهم لمصر ومُشاركتهم في هذا المؤتمر. كما تحدَّث قداسته عن الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة وعراقتها، وعن أعداد أبنائها وعدد الإيبارشيات والأديرة.

قداسة البابا تواضروس الثاني يلتقي وفود الكنائس الأرثوذكسيَّة من العائلتين

ثم أجاب قداسته على سؤال أحد الحاضرين، والذي دار حول الوحدة المسيحيَّة، قائلاً: "الخطوة الأولى نحو الوحدة المسيحيَّة، هي الوحدة الأرثوذكسيَّة". وأضاف قداسته: "في العام الماضي، هنا وفي هذه القاعة، كان هناك اجتماع بين الكنائس الأرثوذكسيَّة الشرقيَّة والبيزنطيَّة، شارك فيه عددٌ من الأساقفة والأساتذة مُمثِّلين عن كنائسهم. وأحلم أن يجتمع بطاركة الأرثوذكس معًا (من العائلتين) هنا في مصر، ليُقدِّموا صوتًا أرثوذكسيًّا واحدًا للعالم المسيحي كلّه".

واستكمل قداسته: "أعتقد أنَّ هذه هي **قاعدة الوحدة المسيحيَّة**، لأن الوحدة المسيحيَّة لا يمكن أن تتحقَّق إلَّا من خلال وحدة الكنائس الأرثوذكسيَّة جميعها".

❖ **يوم ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٥م:**

صورة تجمع قداسة البابا بوفد مجلس الكنائس العالمي

في اليوم الأخير من المؤتمر، ألقى قداسة البابا تواضروس الثاني كلمة الختام، وقد جاء فيها:

أحبَّائي في المسيح،

باسم الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، أودُّ أن أُعبِّر عن خالص الشكر والتقدير لكلِّ مَنْ شارك وساهم في إنجاز هذا المؤتمر المُبارك. هذا الذي أتى بمناسبة مرور سبعة عشر قرنًا على انعقاد مجمع نيقية المسكوني الأول. هذا الحدث التاريخي الذي شكَّل ملامح الإيمان

المسيحي الجامع، ووضع الأساس لعقيدتنا المستقيمة، كما تسلَّمناها من الآباء.

لقد جمعنا هذا اللقاء في روح نيقية، حيث التأمُّل في قوَّة الإيمان، وحيث الدعوة الدائمة إلى التعاون والمحبة بين جميع الكنائس.

اجتماعنا هو احتفالٌ، لا بمجرد ذِكْرى تاريخيَّة، بل بحدثٍ حيٍّ، ما يزال نوره يمتدُّ عَبْر القرون؛ يُذكِّرنا بأنَّ الإيمان المستقيم هو أساس وحدتنا، وأنَّ وحدة الكنيسة هي عطية الروح القدس التي نسعى جميعًا إلى حفظها برباط السلام والمحبة، وأنَّ الوحدة لا تتحقَّق سوى بالحوار اللَّاهوتي بين الكنائس.

إنَّ الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة تفتخر بأنَّها كانت شريكةً منذ البداية في هذا المجمع العظيم من خلال قدِّيسها أثناسيوس الرسولي، المُدافع الأمين عن الإيمان القويم. واليوم، وبعد سبعة عشر قرنًا، ما تزال الكنيسة مدعوَّة إلى أن تشهد للعالم بنفس الإيمان الذي تسلَّمته في نيقية، وأن ترفع صوت الحقِّ والمحبَّة في زمنٍ يموج بالتحدِّيات والتغيُّرات.

أيها الأحبَّاء،

بينما نختتم أعمال هذا المؤتمر، نُصلِّي أنْ يُبارك الله كلَّ ما قُدِّم من فكرٍ ولاهوتٍ وحوار، وأنْ يتحوَّل إلى عملٍ وشهادةٍ حيَّة في عالمنا.

وأودُّ أنْ أُقدِّم لكم هدية تُعبِّر عن الهويَّة المصريَّة وتاريخنا العريق ومصرنا الحبيبة التي أتيتم إليها ومدينة الإسكندرية والتي كان منها انطلاق الإيمان المسيحي في كلِّ ربوع مصر. وهذه الهدية هي منارة الإسكندرية، إحدى عجائب العالم القديم، وأيضًا ترمز للقدِّيس أثناسيوس باعتباره بطل نيقية ومنارة الإيمان للعالم كلِّه، وعلى جوانبها الأربعة مكتوبٌ قانون الإيمان النيقاوي في عشرين لُغة ترمز للعالم المسيحي. كلُّ عبارة من القانون مكتوبة بلغة، وهذا يعني أننا كمسيحيِّين نُردِّد قانون إيماننا بلغاتٍ عديدة.

❖ وأيضًا يوم ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٥م:

اللقاء مع الرئيس عبد الفتاح السيسي:

• استقبل فخامة الرئيس عبد الفتاح السيسي قداسة البابا تواضروس الثاني، وأهم أعضاء مجلس الكنائس العالمي. وقد رحَّب الرئيس بالوفد الزائر، مُعربًا عن تهنئته بنجاح المؤتمر، مؤكِّدًا أن انعقاد المؤتمر في مصر، ولأول مرة في أفريقيا وآسيا منذ عام ١٩٢٧م، يحمل

دلالاتٍ عميقة على مكانة مصر الروحيَّة والتاريخيَّة.

وأكَّد السيِّد الرئيس على تقديره العميق لقداسة البابا تواضروس الثاني ولدور الكنيسة المصريَّة الوطني والروحي، مُشدِّدًا على أن مصر، التي احتضنت العائلة المقدَّسة وكثيرًا من الرُّسُل والأنبياء، ستظلُّ دومًا أرض السلام والتَّسامح، وأنَّ الدولة المصريَّة مُلتزمة بصون حرية العبادة والعقيدة، وتعزيز الحوار بين المؤسَّسات الدينية بما يُسهم في ترسيخ قِيَم التفاهُم والتَّسامح.

• ومن جانبهم، أعرب أعضاء وفد مجلس الكنائس العالمي عن تقدير المجلس للدور الجوهري الذي قامت به مصر، والسيِّد الرئيس شخصيًّا، لوقف الحرب في قطاع غزة، ووجَّهوا الشكر والتقدير للسيِّد الرئيس على جهوده المُتواصلة لتحقيق السلام والاستقرار في الشرق الأوسط، ولِمَا لمسوه مِمَّا تشهده مصر من حريةٍ غير مسبوقة في الاعتقاد وبناء دور العبادة، مُشيدين بمُبادرة سيادته السنويَّة لزيارة الكنيسة المصريَّة وتهنئة الأقباط بعيد الميلاد المجيد، والتي تؤكِّد روح المحبَّة والتقدير.

الرئيس عبد الفتاح السيسي يستقبل قداسة البابا تواضروس الثاني ووفدًا من أعضاء مجلس الكنائس العالمي

مقال للأب متى المسكين

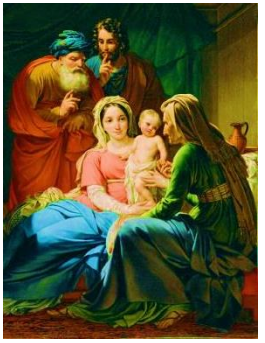

معجزة التجسُّد الإلهي[1]

المجمع المسكوني الثالث بأفسس:

حينما انعقد المجمع المسكوني الثالث في أفسس سنة ٤٣١م والذي ترأَّسه القدِّيس كيرلس الكبير بابا الإسكندرية المدعو عمود الدِّين، وذلك لتثبيت الإيمان المسيحي الأرثوذكسي فيما يختصُّ باتِّحاد الطبيعة البشريَّة مع الطبيعة الإلهيَّة في شخص ربِّنا يسوع المسيح، اتِّحادًا كاملًا كلِّيًّا غير مُفترق ولا مُنقسم، أي وحدة كاملة مُطلقة في الطبيعة والأقنوم؛ كان ذلك ردًّا على نسطور أسقف القسطنطينية الذي نادى بانفصال الطبيعتَيْن، وبالتالي انفصال الأقنومَيْن، واحدٌ إلهيٌّ يسكن في آخر بشري في شخص يسوع المسيح.

كان حجر المحكِّ في هذا النزاع اللَّاهوتي الخطير، الذي فضح انحراف نسطور، وهو محاولة تطبيق هذه البدعة على العلاقة التي تربط العذراء القدِّيسة مريم بشخص المسيح؛ إذ صمَّم نسطور أنَّ العذراء تكون بذلك والدة للأقنوم الجسداني ذي الطبيعة الجسديَّة فقط، ولا علاقة لها بالأقنوم الإلهي ذي الطبيعة الإلهيَّة، فسمَّاها "والدة المسيح" و"والدة الإنسان".

ولم يتَّضع نسطور كما اتَّضع ابن الله، فلم يحتمل – بتصوُّره الضعيف – أن يُطلِق على العذراء "والدة الإله"، مُعتَبِرًا استحالة ولادة الإله من امرأة استحالة قاطعة، مع تشبُّث جنوني أنَّ الله لا يمكن أن يُولَد من امرأة، مع أنَّ بولس الرسول ذكَرَها بوضوح قائلًا: «وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ» (غل ٤: ٤).

وقد شرح بولس الرسول إمكانية هذه الولادة في موضعٍ آخر بقوله: «أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا

(١) عن كتاب: "العذراء القدِّيسة مريم "الثيئوتوكس""، الطبعة الخامسة: ٢٠١٧، من ص ٧ - ١٥.

صُورَةَ عَبْدٍ» (في ٢: ٧).

وبهذا يكون بولس الرسول قد رَفَعَ كلَّ الغموض والاستحالة في إمكانية ولادة الله (في الزمن)، وكشف سرَّ هذا التواضُع الخطير من جانب ابن الله الذي أجراه في ذاته مرتضيًا أن يُحمَل به في بطن العذراء ويُولَد منها كطفل.

هذا السرُّ العجيب هو **معجزة التجسُّد الأساسيَّة،** وإحدى صفات الأُلوهة المُدهشة التي كانت مخفيَّة عنَّا، أي سر تواضُع الله المعروف بالتعبير اللاهوتي بـ "الإخلاء κένωσις"، أي قدرة الله على "إخلاء ذاته" من مجد الأُلوهة في تواضُعٍ فائق لإمكانية الظهور للإنسان بأيَّة صورة مُبسَّطة.

«أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ»:

وقد تصدَّى القدِّيس كيرلس الكبير لهذا الانحراف في الإيمان، مؤكِّدًا أنَّ تلقيب العذراء القدِّيسة مريم بـ "والدة الإله"، ضرورة لاهوتيَّة تُحتِّمها حقيقة التجسُّد الإلهي. فالتجسُّد في الإيمان الأرثوذكسي هو اتِّحادٌ كامل بين الطبيعتين، غير مُفترق قط من بعد الاتِّحاد، لأقنوم واحد هو الإله الخالق ابن الله المُتجسِّد. فالمولود من العذراء هو ابن الله المُتجسِّد، وليس مُجرَّد إنسان.

إذًا، لا يوجد ابنان، ابن لله وابن للعذراء، بل ابنٌ واحد هو "ابن الله" الذي لمَّا تجسَّد صار أيضًا "ابن الإنسان"، دون أن يفقد شيئًا من شخصيَّته الإلهيَّة على الإطلاق.

ونحن إذا سألنا أيَّ مؤمن مسيحي بسيط بناء على قول بولس الرسول: «أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنِ امْرَأَةٍ» عن: ماذا يمكن أن نُسمِّي هذه المرأة التي وَلَدَت ابن الله؟ فماذا يكون الجواب، إلَّا أنها تُدعى **"أُم ابن الله"**! أي أُم ووالدة الأقنوم الثاني.

ولم يكن القدِّيس كيرلس الكبير هو أول مَنْ استخدم هذا الاصطلاح اللَّاهوتي، فهو ضمن التُّراث الكنسي منذ القرن الثاني الميلادي، وقد استخدمه العالِم والكاتب الكنسي المشهور هيبوليتس. كما كان أيضًا ضمن الحقائق التي تُعلِّم بها مدرسة الإسكندرية منذ القرن الثاني أيضًا.

العذراء مريم "والدة الإله":

ولكن إذا عُدنا للإنجيل نفسه، بصفته الوثيقة العُظمى للتقليد الكنسي، نجد أنَّ أول مَنْ نَطَقَ بتسمية العذراء بـ "والدة الإله" أو "أُم ابن الله"، هو الملاك جبرائيل الذي حَمَلَ

البُشرَى الأُولى للعذراء بالحَمل الإلهي والولادة المقدَّسة، إذ قال لها: «فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ **الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ**» (لو ١: ٣٥). وهذا يُسجِّل أول تصريح إلهي أنَّ العذراء هي "والدة القدوس ابن الله".

كذلك إذا تتبَّعنا – بقلبٍ منفتح وروحٍ متيقِّظة – زيارة العذراء لأليصابات، وهي حاملة للسرِّ الإلهي في بطنها، ولم يكن أحدٌ آنئذ يعرف مضمون هذا الخبر على الأرض كلِّها إلَّا هي وحدها، ثم كيف استقبلتها أليصابات؛ نُدرك لا محالة مَنْ هي العذراء مريم وماذا كانت تحمل في بطنها!!

اسمع ما يقول الإنجيل: «وَدَخَلَتْ (مريم) بَيْتَ زَكَرِيَّا وَسَلَّمَتْ عَلَى أَلِيصَابَاتَ. فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ **ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَتْ: مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! فَمِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟** فَهُوَ ذَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلاَمِكِ فِي أُذُنَيَّ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي» (لو ١: ٤٠ - ٤٤).

العذراء مريم تحمل في بطنها السرَّ الإلهي الأعظم:

واضحٌ جدًّا أن العذراء كانت تحمل في بطنها السرَّ الإلهي الأعظم: "الله (الظاهر) في الجسد". لقد أدركه يوحنا وهو جنين في بطن أليصابات، ونبَّه أليصابات أُمَّه، فامتلأت هي أيضًا من الروح القدس وصرخت بصوتٍ عظيم! فماذا يكون هذا الذي في بطن العذراء؟

والعجيب، والذي يهمُّنا جدًّا، أنَّ الذي جعل الجنين يركض والأُم تمتلئ بالروح القدس وتصرخ، ليس مجرَّد ظهور العذراء، بل يقول الإنجيل (بصوت أليصابات): «هُوَ ذَا حِينَ صَارَ **صَوْتُ سَلاَمِكِ** فِي أُذُنَيَّ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي».

واضحٌ أنَّ العذراء كما حَمَلَت جسد كلمة الله في بطنها، حَمَلَت أيضًا صوته في فمها، أي إنَّ سلامها لأليصابات كان يحمل معه أيضًا سلام المسيح الجنين الذي لا زال في البطن. فلم يَعُد الإله الذي تحمله العذراء في بطنها مخفيًّا عن الذين يترجّونه وينتظرونه، إذ لم يكن لاهوت المسيح المُتَّحد بالناسوت وهو "جنين"، عاجزًا عن أن يُعلِن عن مجد حضوره.

غير أنه لمَّا لم يكن مُمكنًا أن ينطق الجنين الإلهي وهو في بطن العذراء، نطق في فمها نُطقًا سرِّيًّا مع صوتها، لم يسمعه ولم يُميِّزه إلَّا الذين كانوا يترجّونه وينتظرونه. فقد ميَّزه

يوحنا وهو في بطن أليصابات وابتهج بسماعه!

كما إنه واضحٌ أيضًا من صراخ أليصابات، لمَّا امتلأت بالروح القدس وما وصفت به العذراء مريم أنها **"أُم ربِّي"**، أنَّ هذا الإعلان ليس نتيجة تفكيرها وفهمها، وإنما هو حقيقة مُلهَمَة نطقت بها من الله وهي تحت تأثير الروح القدس.

وقد كان وصف أليصابات لمريم بكلمة "أُم ربِّي" يعني تمامًا "أُم الإله"، لأنه فضلًا عن أن كلمة "ربِّي" هنا أصلها العبري "أدوناي" أي "يهوه الإله"، فمُرادف الكلام ومُلابسات الموقف تُثبت كلها أنَّ أليصابات تعني "أُم الإله" فعلًا؛ لأنه ليس من المعقول أن أليصابات وهي زوجة كاهن محترم ومُتقدِّمة في السِّنِّ وحامل هي أيضًا في بطنها بابنٍ موعود به بإعلان ملاك ورؤيا علنيَّة، أن تنسحق هذا الانسحاق وتتصاغر هذا التَّصاغُر أمام فتاة صغيرة فقيرة ويتيمة، وعذراء لم تتزوَّج بعد، وتقول لها: «مِنْ أَيْنَ لِي» ... «مِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ»؟؟

إذًا، فالأمر في عين أليصابات كان فائقًا عن حدود البشر، وقد انكشف لها بلا أدنى شكٍّ كرامة العذراء مريم الفائقة وحقيقة أُمومتها لـ "أدوناي" أي "يهوه"!

«مِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ»؟

فإذا كان لسان حال أليصابات هو هذا التَّصاغُر وهذا الانسحاق أمام العذراء، وهذا التكريم الفائق لها، مع أنَّ أليصابات كانت زوجة كاهن وأُم يوحنا الصَّابغ، الملاك الذي أعدَّ الطريق أمام الرب، الذي لم يَقُمْ بين المولودين من النساء مَنْ هو أعظم منه كقول الرب؛ فماذا يكون لسان حالي أنا وماذا يقول كلُّ إنسان في العذراء مريم؟

ثم إذا عُدنا إلى ما قالته العذراء عن نفسها في تسبحتها لله ردًّا على تحيَّة أليصابات لها وتكريمها لشخصها، نجد أنها لم تستعفِ من هذه الكرامة ولا أنكرت الرِّفعة التي رفعتها أليصابات إليها؛ بل وافقت وأمَّنت عليها في اتِّضاعٍ بشري جميل:

«نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ. فَهُوَ ذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي،
الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ ... رَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ ...
أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ!!» (لو ١: ٤٨ و٤٩ و٥٢ و٥٣).

إذًا، فبقدر ما كشفت أليصابات عن كرامة العذراء كأُمٍّ الإله، بقدر ما كشفت العذراء عن نفسها أنَّ القدير فعلًا صنع بها عظائم!! وبقدر ما قالت أليصابات عن مريم: «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ

فِي النِّسَاءِ ... طُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ»، بقدر ما قالت هي عن نفسها: «هُوَ ذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي»! هذا التطبيق المُدهِش في تكريم العذراء نادر المثال، لأنه كما قِيل عنها كذلك قالت هي عن نفسها.

والحقيقة أنَّ الذي نَطَقَ في أليصابات، هو هو الذي نَطَقَ في العذراء، وهو الذي ينطق في كلِّ إنسان، في كلِّ زمانٍ ومكان، بكرامة هذه العذراء.

يُلاحِظ القارئ أننا بدأنا الكلام بذِكْر مجمع أفسس، والسبب في ذلك هو أننا نُريد أن نُقدِّم شخصيَّة العذراء من واقع التقليد الكنسي.

فإن كان التقليد الإنجيلي قد بدأ مُبكِّرًا في إبراز شخصيَّة العذراء بواسطة الملاك جبرائيل منذ لحظة الحَمْل الأُولى، ثم بواسطة أليصابات بعد بداية الحَمْل، وكذلك إن كان التقليد الآبائي لإبراز شخصيَّة العذراء بدأ مُبكِّرًا أيضًا، فمنذ القرن الثاني والآباء العِظَام يتحدَّثون عن العذراء باستفاضة، سواء عن أُمومتها للإله أو بتوليتها الدائمة أو شفاعتها (مُحاماتها عن نسل حواء) أو أُمومتها لأولاد الله أو أوصافها الرمزيَّة التي جاءت في العهد القديم؛ إلَّا أنَّ التقليد الكنسي الذي مارسه المؤمنون لتكريم العذراء بصورته الحاليَّة الغامرة الفيَّاضة في الطقوس والصلوات والتسابيح، بدأ متأخِّرًا نوعًا ما، إذ لا نستطيع أن نتتبَّعه إلَّا إلى زمن مجمع أفسس فقط أي سنة ٤٣١م، أي منذ أن بدأت الكنيسة تتنبَّه إلى أهمية إبراز شخصيَّة العذراء القدِّيسة مريم كوالدة الإله لضبط مفهوم التجسُّد الإلهي.

التسابيح والألحان والمردَّات التي تستخدمها الكنيسة في الليتورجيَّا:

وقد استخدمت الكنيسة الكثير من التسابيح والألحان الطويلة والمردَّات القصيرة في خدمة التَّسبحة اليوميَّة، وفي خدمة رفع بخور باكر وعشيَّة، وفي خدمة القدَّاس، وفي خدمة صلوات السَّواعي النهاريَّة والليليَّة؛ هذا بالإضافة إلى مناسبات أعيادها الرسميَّة وتسابيح شهر كيهك الخاصة بالميلاد.

وفي هذه التسابيح والألحان والمردَّات، تركَّزت جميع الأوصاف التي خلعتها الكنيسة على العذراء القدِّيسة مريم.

وهنا جديرٌ بنا أن نقف وقفةً قصيرة لكي نستثني كافة التسابيح الدخيلة التي دسَّها بعض المعلِّمين المُحدَثين، سواء كان في قِطَع السَّواعي أو الأبصلموديَّة الكيهكية، ومعظمها دخل

بعد القرن الثالث عشر، وبعضها أُضيف بعد القرن التاسع عشر، أي بدخول الطباعة. وللأسف، فهي لا تحمل أصالة الطابع اللاهوتي الأرثوذكسي القويم، كما إنها – للأسف أيضًا – تخرج عن منهج الآباء في التسابيح في أوضاعٍ كثيرة، لذلك سنضطرُّ أن نتجاوزها. وسوف نُشير إليها إشارة عابرة أثناء عرضنا للتسابيح والألحان الأصيلة.

ومِمَّا يزيدنا ثقةً وافتخارًا بتسابيحنا الكنسيَّة، ما وجدناه – بعض الفحص – بإنَّ معظم الأوصاف والتشابيه والرموز والألقاب التي للعذراء التي وردت في تسابيحنا الكنسيَّة، ليست مجرَّد اجتهاد من المؤلِّفين، وإنما هي مأخوذة عن أصالة لاهوتيَّة ودقَّة في التعبير والتشبيه، وكلها من وَضْع آباء قدِّيسين ولاهوتيين عِظَام، استوحوها بدورهم من الله ومن رموز ونبوَّات العهد القديم التي تحقَّقت في شخصيَّة العذراء.

وقد استطعنا أن نرجع إلى مؤلَّفات الآباء ونستخلص منها هذه النصوص بعينها التي استخدمتها الأبصلموديَّة المقدَّسة، وأشرنا إليها في مواضعها. وغرضنا من ذلك – بطبيعة الحال – أن نلفت نظر هذا الجيل إلى دقَّة هذه التسابيح وأصالتها اللاهوتية وعمقها الروحي، حتى تدخل ضمن نشاطنا الروحي اليومي بفرح، كما كان يصنع آباؤنا.

وفي الختام نُشير إلى المُفارقة الصارخة بين كمية التسابيح والألحان والمردَّات التي تخصُّ العذراء والتي تتخلَّل كافة الخدمات اليوميَّة، وبين كمية علاقتنا الشخصيَّة بالعذراء مريم في واقعنا اليومي!

فبالرغم من أنَّ الكنيسة تقضي يوميًّا عدَّة ساعات في تكريم العذراء بالتسابيح المُبدعة والألحان الرقيقة والمردَّات التَّشفُّعيَّة المُنسكبة، إلَّا أن الإنسان المسيحي العابد لا يستجيب لهذا الدعاء والتوسُّل والتشفُّع في قرارة نفسه. والعِلَّة في ذلك – بكلِّ أسفٍ – ترجع إلى ضعف التسليم.

فالآباء المعلِّمون، سواء كانوا من شيوخ البريَّة المتوحِّدين أو الكهنة أو الأراخنة الأتقياء، لا يحملون صورةً صحيحة مُطابقة لروح الكنيسة من جهة تعلُّقها التَّقوي بالعذراء القدِّيسة وتكريمها الشديد لشخصها المُبارك.

ولعلَّ هذا من ضمن الأسباب التي جعلت هذا الجيل ينفضُّ عن التسبيح داخل الكنيسة ويتهاون بخدمات الألحان والمردَّات والتَّشفُّعات.

الليتورجيًّا في كنيستنا مؤسَّسة على "شركة القدِّيسين":

لذلك نودُّ أن نضع أمام القارئ الصورة الأصيلة لعقيدة الكنيسة الأرثوذكسيَّة من جهة "شركة القدِّيسين". فالعبادة في كنيستنا، سواء في القدَّاس أو كافة الصلوات الأخرى، تقوم على أساس اجتماع المؤمنين مع أرواح القدِّيسين والأبرار والشهداء المُنتقلين والملائكة والعذراء القدِّيسة مريم. لذلك ترى، أيها القارئ، على حجاب الهيكل الحامل للأيقونات، أيقونات هؤلاء جميعًا بدرجاتهم السماويَّة، وكأنما الكنيسة قد احتجزت لهم الصفَّ الأمامي لحضورهم على الدوام، وجعلت ظهورهم نحو الشرق لأنهم لم يعودوا بعد ينتظرون المسيح الآتي مثلنا بل هم معه الآن كل حين، وجعلت وجوههم نحونا لكي يعزّونا ويؤازرونا ويتقبَّلوا توسُّلاتنا وصلواتنا.

وكما يتقدَّم الكاهن إلى البطريرك أو المطران أو الكهنة المُساعدين بالبخور، وكذلك كافة الشعب فردًا فردًا ليُشرِك الجميع في الصلوات؛ كذلك يسبق أولًا ويتقدَّم إلى أيقونات القدِّيسين ويجمع منهم صلواتهم عنَّا، باعتبار أنَّ الكاهن مسؤولٌ عن جمع صلوات الكنيسة كلها: المنتصرة والمُجاهدة، ثم يصعد إلى الهيكل ليُقدِّمها أمام المذبح الإلهي البديل المؤقَّت للمذبح الإلهي الناطق السمائي[٢].

فعمل الكاهن الآن، هو نفس عمل ملاك الختم السابع الذي ظهر ليوحنا الرسول في الرؤيا: «وَجَاءَ مَلَاكٌ آخَرُ وَوَقَفَ عِنْدَ الْمَذْبَحِ، وَمَعَهُ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَأُعْطِيَ بَخُورًا كَثِيرًا لِكَيْ يُقَدِّمَهُ مَعَ صَلَوَاتِ الْقِدِّيسِينَ جَمِيعِهِمْ عَلَى مَذْبَحِ الذَّهَبِ الَّذِي أَمَامَ الْعَرْشِ. فَصَعِدَ دُخَانُ الْبَخُورِ مَعَ صَلَوَاتِ الْقِدِّيسِينَ مِنْ يَدِ الْمَلَاكِ أَمَامَ اللهِ» (رؤ ٨: ٣ و٤).

وبمقتضى هذه العقيدة الأرثوذكسيَّة الحيَّة، تحيا الكنيسة كلَّ يوم مع القدِّيسين والملائكة، وبالأخصِّ العذراء مريم بصفتها أقرب الجميع إلى شخص المسيح: «قامت الملكة عن يمين المَلِك» (مز ٤٥: ٩ حسب الأجبية). وهكذا بقدر ما نقترب من القدِّيسين نقترب من المسيح، وبقدر ما نقترب من المسيح نقترب من القدِّيسين بالضرورة[٣].

ومن المُحقَّق أنَّ حياة الشركة مع القدِّيسين التي نحياها منذ الآن بمقتضى العقيدة الأرثوذكسيَّة، فوق ما نكتسبه منها من مؤازرة، فهي تحمل صورةً كاملةً لمعنى الكنيسة في مفهومها الإلهي حسب منتهى مشيئة الله.

---

(٢) أوشية القرابين والآباء في القدَّاس.

(٣) القدِّيس دوروثيئوس الذي من غزة.

أقوال الآباء

عظة عن
التَّجسُّد الإلهيِّ(١)

للقدِّيس كيرلس الكبير

(٣٧٥ - ٤٤٤م)

الحياة الأبديَّة هي معرفة الآب وابنه يسوع المسيح:

الذين يواظبون على الكُتُب المقدَّسة، تكون قلوبهم مملوءةً بالحكمة، متمرِّسةً في الأعمال الصَّالحة، ومستنيرةً بالإيمان القويم. فإنَّ التَّوق إلى المعرفة الحقيقيَّة، نهايته اقتناء الحياة. والمُخلِّص نفسه يؤكِّد لنا هذا، حينما يقول لله الآب الَّذي في السَّماوات: «هذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يو ١٧: ٣).

إذًا، فمعرفة الآب ومعرفة الابن مقترنتان معًا؛ وبذلك تكون المعرفة مُحييَّةً. ولكن إذا انفصلت إحداهما عن الأخرى، فإنَّ المعرفة تتعرَّجُ كلِّيَّةً. وهكذا أيضًا كان ربُّنا يسوع المسيح يُخاطب جماهير اليهود، قائلًا: «لَسْتُمْ تَعْرِفُونَنِي أَنَا وَلَا أَبِي. لَوْ عَرَفْتُمُونِي لَعَرَفْتُمْ أَبِي أَيْضًا» (يو ٨: ١٩).

اليهود في العهد القديم لم يَرَوْا هيئة الله:

وكان اليهود يظنُّون أنَّ آباءهم قد رأوا في الجبل الله الابن بحسب طبيعته وبالحقِّ، حين ظهر في هيئة نارٍ على جبل سيناء (خر ١٩: ١١). فكانوا يعتقدون أنَّهم سمعوا صوته حقًّا. ولهذا السَّبب، كانوا مُعجبين بموسى مُعلِن المقدَّسات، بينما احتقروا ربَّنا يسوع المسيح

---

(١) ترجمة للنَّصِّ اليونانيِّ المنشور في: PG 77 981-985, Homilia i. (CPG: 5245), ACO I, 1, 2 P. 96-98.
وهذه العظة عنوانها في المخطوطات اليونانية: "قيلت في أفسس وهي جميلة جدًّا". وهي ضمن ٢٢ عظة للقدِّيس كيرلُّس الكبير موضوعة في PG تحت عنوان: Homiliae diversae (عظات متفرِّقة). ولهذه العظة ترجمة فرنسية في كتاب:

A.J. Festugière, *Ephèse et Chalcédoine, Actes des Conciles*, P. 304-306.

بسبب بشريَّته، وتكلَّموا عنه بلا تقوى قائلين: «نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ مُوسَى كَلَّمَهُ اللهُ، وَأَمَّا هذَا فَمَا نَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ هُوَ» (يو ٩: ٢٩)؟ فبِمَ أجاب المسيح على ذلك: «الحقَّ أقول لكم: أنتم لم تبصروا هيئته قطُّ، ولا سمعتم صوته؛ وليست لكم كلمته ثابتةً فيكم، لأنَّ الَّذي أرسله هو، لستم أنتم تؤمنون به» (يو ٥: ٣٧، ٣٨ بحسب النَّص).

فإنَّ الحقَّ يشهد دائمًا لِمَا هو حقٌّ؛ فما رأَوْه في جبل سيناء لم يكن طبيعةَ اللهِ، بل بالحريِّ نارًا. وكانت هناك أيضًا أصواتُ البوق، وأدخنةٌ مُتصاعدة، فكانت رموز الحقيقة تُظهِر مُسْبقًا الحقيقة ذاتها. فقد نزل إلهُ الكلِّ في هيئة نارٍ على جبل سيناء.

فلماذا (نزل) في هيئة نار؟ لأنَّه كان مُزمعًا أن يُحدِّد لهم النَّاموس، فكان ظهوره في هيئة نار لمَّا نزل في ذلك الزمان من أنفع ما يكون وأشدَّ فائدة، لكي يعرف الَّذين يتعدَّون النَّاموس أنَّهم يواجهون نارًا. ولذلك أيضًا كان موسى الطُّوباوي، يجعل الخطاة أكثر تعقُّلًا بالخوف، فيكرِّر كثيرًا القول: «إنَّ إلهنا نارٌ آكلة» (تث ٤: ٢٤). وكان هناك دخان وظلام: فالظَّلام كان يُشير بحذقٍ إلى أنَّ معرفة الله تفوق الإدراك؛ وأمَّا الدُّخان فكان يعلِّمنا بطريقةٍ رمزيَّة أنَّ الَّذين يقصدون ازدراء النَّواميس الإلهيَّة، سينالهم حتمًا البُكاء الدَّائم. فإنَّ عين الجسد لا بدَّ أن تدمع في الدُّخان.

أمَّا نحن فقد رأينا هيئة الآب في المسيح:

فاليهود، إذًا، لم يُعاينوا هيئة الآب؛ وأمَّا نحن، فقد رأيناها في المسيح، لأنَّه بهاء أبيه الأنقى، فهو «بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ» (عب ١: ٣). فإنْ كان الكلمة وهو الله قد أخذ جسدًا ودمًا من أجلنا وقد دُعِيَ ابن الإنسان – لا أعني جسدًا بلا نفس أو بلا عقل، كما يدَّعي أبوليناريوس المُهرطق المختلُّ – لكنَّه حتَّى في هذا الوضع بَقِيَ إلهًا.

سرُّ المسيح أُعلن في أوقاتٍ محدَّدة للآباء:

كذلك كان المسيح يكشف سرَّه في أوقاتٍ محدَّدة للآباء القدِّيسين. والأمثلة عن ذلك كثيرة جدًّا عند الأنبياء القدِّيسين. ولكن حيث يجب أن نتفحَّص الأمر بالتَّفصيل، دَعْنا نُظهر من سِفْر التَّكوين أنَّ الَّذي دُعِيَ ابنًا وإلهًا رُؤي أيضًا كإنسانٍ.

فها هو الطُّوباوي يعقوب، لمَّا ترك بلاد ما بين النَّهرين، أسرع عائدًا إلى بيت أبيه. وبعد أنْ أخذ ابنتَي لابان، والأولاد الَّذين وُلدوا له منهما، عَبَرَ بهم نهر يَبُّوق – وهذا اسم جدول ماء –

ولكن، كما تقول الكُتُب المُوحَى بها من الله، بعد أنْ أجاز الأولادَ والنِّساء، وبَقِيَ يعقوب وحده، تصارَع إنسانٌ معه حتَّى الفجر. ولمَّا رأى أنَّه لا يقدر عليه، لمس حُقَّ فخذه، فتخدَّل حُقُّ فخذ يعقوب في مصارعته معه؛ وقال، بحسب الرُّواية، الرَّجلُ الَّذي كان يُصارعه: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فقال (يعقوب): «لَا أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». فباركه هناك، ودعا يعقوب اسم ذلك الموضع "منظر الله"، وقال: «لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي».

مغزى صراع يعقوب مع الله:

يا لها من حكمةٍ لائقة ومقدَّسة! يرى رئيسُ الآباء إنسانًا يُصارعه، ومع ذلك يقول: «نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ، وَنُجِّيَتْ نَفْسِي» (تك ٣٢: ٢٢ – ٣٠)! فقد فَهِمَ للوقت سرَّ التَّجسُّد، إذ كشفه له الرُّوح القدس.

ولكن لاحظ هذا: إنَّه طوال الليل كان يُصارعه، ولكن حين طلع الفجر، قال: «أَطْلِقْنِي، لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فما عسى يعنيه هذا اللُّغز؟ إنَّه يشير إلى أنَّ الَّذين يعيشون كما في ظلمةٍ وليلٍ، ويغشى ضبابُ الجهل عقولَهم وقلوبَهم، هؤلاء يُصارعهم المسيح ويُجاهد معهم، لأنَّه يعتبرهم يُعادونه. ولكن متى أشرق على عقولهم كوكبُ الصُّبح الرُّوحيّ، ومتى أضاء فيهم نور المعرفة الإلهيَّة الحقيقيَّة كما يضيء النَّهار؛ حينئذ يُبطِلُ الصِّراع. فهو يُصارع ويُجاهد الَّذين يعيشون كما في ليلٍ وظلمةٍ، الَّذين قلوبهم بلا نورٍ ولا إشراق. لكنَّه لا يُصارع الَّذين صاروا في النُّور، الَّذين يقتنون الفجر غير المادي في أذهانهم.

فاقبل إذًا، أيُّها الإنسان، كوكبَ الصُّبح غير المادي، وليُشرق عليك نورُ الحقِّ. كُفَّ عن مُصارعة المسيح، فهو لا يعرف الهزيمة، بل يغلب دائمًا، وبالتَّمام.

مع أنَّه صار إنسانًا لم يزَل إلهًا:

وإنْ كان الكلمة، ابن الله الوحيد، قد صار ابنًا للإنسان، لكنَّه لم يتخلَّ عن كونه إلهًا بحسب الطَّبيعة، لأنَّه غير متبدِّل وغير متغيِّر. فهو نفسه من الآب، بصفته الكلمة؛ ومن امرأة، بصفته إنسانًا بحسب الجسد. فـ «لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ، وَنَحْنُ بِهِ» (١كو ٨: ٦)، وروحٌ قدسٌ واحدٌ، الَّذي فيه جميع الأشياء، له المجد إلى دهر الدُّهور. آمين.

فوائد قراءات شهر كيهك المبارك (١)

❖✚❖

• **«بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلَاءِ. لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلَالِ الْمَوْتِ»** (لو ١: ٧٨ و٧٩).

تمهيد:

السنة الليتورجيَّة في كنيستنا القبطيَّة، هي عبارة عن تجسيد لشخص الربِّ يسوع ينبض بالحياة أمام أبنائها، وذلك منذ ولادة الربِّ بالجسد حتى صعوده إلى السماوات وإرسال روحه القدوس إلينا، ثم تكميل رسالته بواسطة تلاميذه: «اخْتِمِ الشَّرِيعَةَ بِتَلَامِيذِي» (إش ٨: ١٦). كما تهتمُّ الكنيسة بإبراز شخص المسيح حيًّا في قدِّيسيه، وعلى رأسهم أُمُّنا القدِّيسة العذراء مريم، ثم عمل ملائكته الذين يخدمونه ويخدمون العتيدين أن يرثوا الخلاص.

ونرى ذلك واضحًا في قراءات الكنيسة إذا تمعَّنَّا فيها على مدى العام الكنسي كلِّه. فإذا بدأنا بعيد ميلاد المخلِّص، نجد أنَّ كنيستنا المُلهمة بالروح قد رتَّبت شهرًا كاملًا يُمهِّد – بتسابيحه وقراءاته – للاحتفال بهذا الميلاد العذراوي، لأنها أُمٌّ تعرف كيف تُغذِّينا بكلِّ ما هو نافعٌ لنا. وهي هنا تشتهي أن تغرس فينا المسيح مولودًا بداخلنا، كما تفعل في بقيَّة مناسبات عامها الليتورجي.

وقد رأت كنيستنا بالروح القدس، أنَّ الأصحاح الأول من إنجيل القدِّيس لوقا مليءٌ بالأحداث الرئيسيَّة المُمهِّدة لمجيء مخلِّصنا بالجسد. لذلك فقد قسَّمت هذا الأصحاح إلى أربعة أقسام، موزَّعةً على أناجيل قدَّاسات أربعة آحاد شهر كيهك كما سنرى. وإذا علمنا أنَّ قراءات كلِّ قدَّاس تشتمل على تسعة فصول هي: مزمور وإنجيل عشيَّة، ومزمور وإنجيل باكر، والبولس والكاثوليكون والإبركسيس، ومزمور وإنجيل القدَّاس؛ فإننا نجد أنَّ كلَّها تدور حول موضوع إنجيل القدَّاس وترتبط به ارتباطًا وثيقًا، ولأمكننا بسهولة أن نُلاحِظ أنَّ ترتيب الكنيسة لقراءات آحاد هذا الشهر المُبارك، تهدف إلى إبراز المعاني الرئيسيَّة الآتية:

أولًا: شخصيات نساء العهد الجديد وفضائلهُنَّ:

تُبرزها الكنيسة أمام أولادها، فتكوِّن منها باقةً رائعة الجمال من الفضائل التي تتزيَّن بها أُمُّنا العذراء، وذلك في هذا الشهر بالذات حتى نقتدي بها، فيُجمِّل كلٌّ منَّا نفسه لعريسه الذي ينتظره بفارغ الصبر لكي يُجدِّد ميلاده الثاني في الكنيسة في عيد ميلاد مخلِّصنا الصالح. ففضلًا عن أنَّ الكنيسة تُبرز فضائل القدِّيستَيْن مريم العذراء وأليصابات في أناجيل القدَّاس، إلَّا أنها تفعل ذلك أيضًا بالنسبة لنساء أُخريات في فصول عشيَّة وباكر آحاد هذا الشهر.

ثانيًا: استبدال الناموس القديم بناموس الإيمان بالمسيح:

لذلك، فإنَّ فصول قراءات البولس للآحاد الأربعة مأخوذة كلها من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية وتخدم هذا الغرض.

ثالثًا: "الحياة أُظهِرَت" و"النور الحقيقي الآن يُضيء":

هذه هي المعاني التي تتكلَّم عنها فصول قراءات الكاثوليكون.

رابعًا: الإعداد لملكوت الله، ورموز مجيء المخلِّص ورسالته:

وهي تتحدَّث عنها فصول قراءات الإبركسيس.

☆ ☆ ☆

الأحد الأول: بشارة الملاك جبرائيل لزكريا الكاهن بولادة يوحنا المعمدان (لو ١: ١ – ٢٥):

١ – إذ كان زكريا وأليصابات بارَّين أمام الله سالكَيْن في جميع وصاياه بلا لوم، لذلك أبرز إنجيل عشيَّة هذا اليوم تقوى مُماثلة في المرأة ساكبة الطِّيب (مر ١٤: ٣ – ٩)، كرمزٍ قويٍّ لحبِّ النفس وإخلاصها للرب، الذي تستحقُّ من أجله أنه: «حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ، يُخْبَرْ أَيْضًا بِمَا فَعَلَتْهُ هذِهِ تَذْكَارًا لَهَا».

كما يتكلَّم إنجيل باكر (مر ١٢: ٤١ – ٤٤) عن الأرملة التي ألقت فلسَيْن في الخزانة: «مِنْ إِعْوَازِهَا أَلْقَتْ كُلَّ ما عِنْدَهَا، كُلَّ مَعِيشَتِهَا»، كرمزٍ للنفس المؤمنة التي لا تكتفي بالفقر الاعتيادي؛ بل بتبعيتها للمسيح، إذ تتحرَّر مُتجرِّدة **في قلبها** حتى من ضروريات معيشتها مُطبِّقةً قول الرسول بطرس: «مُلْقِينَ كُلَّ هَمِّكُمْ عَلَيْهِ لأَنَّهُ هُوَ يَعْتَنِي بِكُمْ» (١بط ٥: ٧).

كما تُبرز الكنيسة في فصل البولس (رو ١: ١ – ١٧) أنه في الإنجيل مُعلَنٌ برُّ الله الحقيقي لأن "البار بالإيمان (بالمسيح) يحيا". وفي ذلك نرى تقوى وقدَّاسة العذراء مريم التي سُرَّ الله

أن يأتي إلينا مُتجسِّدًا في رَحِمها، وهي المثالُ الحيُّ لكلِّ مؤمن يريد أن يُعدَّ آنيته لحلول الله وولادة المسيح فيه.

٢ – «طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ ... فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلاَكِ: كَيْفَ أَعْلَمُ هذَا، لأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟»! هنا يوضِّح يعقوب الرسول في الكاثوليكون (يع ١: ١ – ١٨) أنَّ «الْمُرْتَابَ يُشْبِهُ مَوْجًا مِنَ الْبَحْرِ تَخْبِطُهُ الرِّيحُ وَتَدْفَعُهُ. فَلاَ يَظُنَّ ذلِكَ الإِنْسَانُ أَنَّهُ يَنَالُ شَيْئًا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ»، وأنه إن كانت طلبة زكريا قد سُمعت بحَبَل امرأته وهي مُتقدِّمة في أيامها بيوحنا المعمدان، فـ «كلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ». لذلك وهب الله زكريا في الوقت المناسب أفضل عطية في جيله وأفضل مواليد نساء العهد القديم: يوحنا المعمدان، الذي صار رمزًا ومُعِدًّا الطريق للمخلِّص الذي صار هو عطية الآب العظمى للبشريَّة، كما يقول بولس الرسول: «اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ (الآب) عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، **كَيْفَ لَا يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟**» (رو ٨: ٣٢).

٣ – «يَكُونُ عَظِيمًا ... وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِيءُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ»، ولذلك يتكلَّم فصل الإبركسيس (أع ١: ١ – ١٤) عن وعد الربِّ يسوع لتلاميذه بحلول الروح القدس عليهم، لكي يُهيِّئوا للربِّ – كما فعل يوحنا – شعبًا مستعدًّا للامتلاء بالروح القدس.

٤ – إنَّ المعمدان «يَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِمْ. وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ، لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ، وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ، لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْبًا مُسْتَعِدًّا». أي إنَّ يوحنا المعمدان سيعمل على امتداد وتعميق ملكوت الله في قلوبٍ كثيرة، وهو ما يتكلَّم عنه فصل الإبركسيس، إذ يقول: إنَّ الربَّ يسوع كان «يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ». وعن مجيء الربِّ في ملكوته يقول الملاك للرُّسُل: «إِنَّ يَسُوعَ هذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكَذَا (في ملكوته) كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أع ١: ١١).

٥ – سمح الربُّ بتجربتين لزكريا الكاهن وأليصابات: **الأولى** هي: عدم إنجابهما حتى الشيخوخة؛ **والثانية** هي: عَقْد الملاك للسان زكريا عندما شكَّ في بشارته. لذلك يقول يعقوب الرسول في الكاثوليكون: «اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ، عَالِمِينَ أَنَّ امْتِحَانَ إِيمَانِكُمْ يُنْشِئُ صَبْرًا ... طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ

إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (يع ١: ٢ و١٢). كما أنَّ المزامير تتكلَّم عن ذلك. فمزمور عشيَّة هو: «إِلَى مَتَى يَا رَبُّ تَنْسَانِي ... أَنِرْ عَيْنَيَّ»؛ ومزمور باكر: «نَظَرَ الرَّبُّ ... لِيَسْمَعَ تَنَهُّدَ المَغْلُولِيْنَ»؛ ومزمور القدَّاس: «أَنْتَ يَا رَبُّ تَرْجِعُ وَتَتَرَأَّفُ عَلَى صِهْيَوْنَ، لأَنَّهُ وَقْتُ الرَّأْفَةِ بِهَا». هذا التحنُّن ناله زكريا بعد أن تعلَّم الإيمان واحتمال التجارب بواسطة عقابه بعَقْد لسانه، والذي نلناه نحن أيضًا إذ بشَّرنا المعمدان بالتوبة لنُعِدَّ قلوبنا لولادة الربِّ فيها.

٦ – تتكلَّم فصول هذا اليوم عن نقاطٍ أخرى أهمها:

(أ) في فصل البولس: اشتياق بولس الشديد لخدمة أهل رومية لكي يمنحهم هبةً روحيَّةً لثباتهم. أَلَا يُشبه ذلك اشتياق ابن الله لخدمة خلاصنا بتجسُّده رغم ما وراء التجسُّد من صليب؟!

(ب) فصل الكاثوليكون يُبرز لنا أننا بالهِبَة الحقيقيَّة التَّامة التي من فوق، أي المسيح، وُلِدنا ولادةً جديدة معه: «شَاءَ فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلَائِقِهِ» (يع ١: ١٨).

(ج) فصل الإبركسيس يُخبرنا (في الآية ١٤) عن مواظبة النساء مع مريم أُمِّ يسوع بنفسٍ واحدة مع الرُّسُل على الصلاة والطلبة لكي يمتلئن معهم بالروح القدس، وذلك لكي لا نشعر فقط أنَّ النساء قد صرن شريكات للرجال في جسد المسيح وفي نفس قوَّة الروح التي تحلُّ على الجميع؛ بل لكي نشعر أيضًا بأننا صرنا جميعًا شركاء للقدِّيسة مريم في حياتها في المسيح.

الأحد الثاني: بشارة الملاك جبرائيل للعذراء بحبلها بالمخلِّص (لو١: ٢٦ – ٣٨):

١ – أعطى جبرائيل الملاك السلامَ لمريم، ثم أَظهَر لها اختيار الربِّ لها لتكون أُمًّا له: «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ ... وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ ... وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ». ولأن مُصالحتنا مع الله هي إحدى شروط اختيار الله لنا ليحلَّ فينا، فقد اختارت الكنيسة فصل المرأة الخاطئة (لو ٧: ٣٦ – ٥٠) في عشيَّة هذا اليوم، تلك المرأة التي بعد أن غفر لها المسيح وصالحها مع الله أبيه، أعطاها هِبَة السلام تمامًا كما أعطى الملاك لمريم.

وفي فصل البولس (رو ٣: ١ – ٤: ٣) يقول الرسول: «الْجَمِيعُ زَاغُوا وَفَسَدُوا ... وَطَرِيقُ السَّلَامِ لَمْ يَعْرِفُوهُ»، وذلك مثل الخاطئة قبل توبتها، ولكن بمجرد مجيئها إلى المسيح ظهر لها برُّ الله بإيمانها به، فتبرَّرت مجانًا بنعمته بالفداء الذي صنعه إذ «قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً

بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ لإِظْهَارِ بِرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ ... لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيْمَانِ بِيَسُوعَ»، وذلك «لِكَيْ لَا يَفْتَخِرَ كُلُّ ذِي جَسَدٍ أَمَامَهُ. وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ، الَّذِي **صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللهِ وَبِرًّا وَقَدَاسَةً وَفِدَاءً**» (١كو ١: ٢٩ و٣٠).

٢ – إذ سُرَّ الربُّ بمريم العذراء، لذلك تُرتِّل الكنيسة في مزمور القدَّاس بتسبحة داود النبي: «اِسْمَعِي يَا ابْنَتِي وَانْظُرِي وَأَمِيلِي بِسَمَعِكِ وَانْسَيْ شَعْبَكِ وَبَيْتَ أَبِيكِ، فَإِنَّ الْمَلِكَ قَدِ اشْتَهَى حُسْنَكِ لأَنَّهُ هُوَ رَبُّكِ» (مز ٤٥: ١١ و١٢). كما تُعلن لنا الكنيسة في فصل البولس، أنه وإن كان الجميع زاغوا وفسدوا، فلكي يستدَّ كلُّ فم ويصير الكلُّ تحت قصاصٍ من الله؛ فلا يستطيع أحدٌ أن يقول إنه ليس في احتياج إلى مخلِّص، وإذ نقرُّ بهذا الاحتياج في هذا الشهر – كنموذجٍ لكلِّ حياتنا – يأتينا المخلِّص في نهايته مولودًا فينا لكي يحمل عنَّا هذا القصاص، لأنه إن كان «بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لَا يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ ... أَمَّا الآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بِرُّ اللهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءِ، بِرُّ اللهِ بِالإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ ... مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ ... لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ» (رو ٣: ٢٠ – ٢٦)، أي في ملء الزمان.

وإن كان الجميع قد عصوا إلههم ابتداءً من حوَّاء الأولى، فإنَّ الجميع تبرَّروا بالمسيح ابتداءً من أُمِّنا القدِّيسة مريم، حوَّاء الثانية، التي وجدت نعمةً عند الله. لأنه إن كان بالمرأة (حوَّاء) ابتدأت الخطية التي جلبت لنا الموت، فبواسطة المرأة (العذراء مريم) أيضًا ابتدأ الخلاص بإيمانها الذي جلب لنا حياةً أبديَّة بالمسيح!

٣ – قال الملاكُ للعذراء مريم: «سَتَحْبَلِينَ (الآن) وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ (أي مخلِّص)، هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلَا يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ». ولعلَّ هذا كان هو استجابة الله لأنين أتقياء العهد القديم على لسان المُرتِّل في مزمور عشيَّة: «يا رب طأطئ السموات وانزل ... أرسل يدك ... أنقذني ونجِّني». كما يتنبَّأ داود النبي عن تحقيق ذلك في مزمور باكر: «يَنْزِلُ مِثْلَ الْمَطَرِ عَلَى الجَزَّةِ ... يُشْرِقُ فِي أَيَّامِهِ العَدْلُ وَكَثْرَةِ السَّلَامَةِ».

٤ – وُلد مخلِّصنا بالروح القدس: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ». أليس بولادته بالروح القدس ومن العذراء وهبنا أن نولد معه وفيه **بالروح القدس والنار** كما قال المعمدان؟ أوَليس لهذا بعينه تُبرِز لنا الكنيسة في فصل إبركسيس هذا اليوم (أع ٧: ٣٠ – ٣٤)

مجيء الله وكلامه مع موسى وإرساليته له من خلال **نار العُلَّيقة المُلتهبة**؟ «وَلَمَّا كَمِلَتْ أَرْبَعُونَ سَنَةً، ظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ فِي بَرِّيَّةِ جَبَلِ سِينَاءَ فِي لَهِيبِ نَارِ عُلَّيْقَةٍ» (أع ٧: ٣٠؛ خر ٣: ٢). أي لمَّا كمل ملء الزمان، وصار موسى مُعدًّا للرسالة، وصار شعب الله في مصر يشعر بالاحتياج إلى مُنقذ ومُخلِّص من العبودية، تكلَّم إلهنا "النار الآكلة" لأول مرَّة للإنسان من خلال النار إشارةً إلى حبِّه المُلتهب وتحرُّك أحشائه لأجل خلاص شعبه في القديم، وفي خلاص كلِّ نفس في العهدَيْن القديم والجديد.

وهذه النار ذاتها التي حلَّت في رَحِم العذراء، قد امتدَّ لهيبها سرًّا ليسري فينا نحن الذين صارت نفوسنا كبناتٍ للقدِّيسة مريم، كما تقول التسبحة: "يا جميع العذارى أحببن الطهارة لكي تصرنَ بنات للقدِّيسة مريم"[1]. فضلًا عن أن إرساليَّة الله لموسى، من خلال العُلَّيقة لإنقاذ شعبه من مصر، هي الرمز المُبارك لإرساليَّة الآب لابنه الوحيد التي يُحدِّثنا عنها إنجيل قدَّاس هذا اليوم.

٥ – بتجسُّد ابن الله، ظهرت لنا فيه الحياة الحقيقيَّة وأشرق لنا النور الحقيقي، لذلك يُبشِّرنا فصل الكاثوليكون (١يو ١: ١ – ٢: ٢) بأنَّ **الحياة أُظهِرَت**، أي إنَّ الربَّ يسوع الذي رآه الرُّسُل وسمعوه ولمسوه، هو نفسه الحياة الأبديَّة التي كانت عند الآب وها هي قد أُظهِرَت لنا بالتجسُّد. ويوحنا الحبيب يُخبرنا به لتكون لنا شركة مع الرُّسُل في المسيح. الله نورٌ، والمسيح هو هذا النور الذي ظهر لنا في عيد الأنوار.

٦ – شجَّع الملاكُ مريمَ وقوَّى إيمانها بأن أخبرها عن حَبَل نسيبتها أليصابات في شيخوختها، ثم ختم كلامه بقوله: «لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ». لقد انطوت مقدرة الله على كلِّ شيء بنزوله إلينا كما يقول الإبركسيس: «لَقَدْ رَأَيْتُ مَشَقَّةَ شَعْبِي الَّذِينَ فِي مِصْرَ، وَسَمِعْتُ أَنِينَهُمْ وَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ». كما تنطوي على تقديم ابنه «كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ لإِظْهَارِ بِرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ» كما يقول فصل البولس، وكما يقول يوحنا الرسول: «وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ، وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا **كُلِّ الْعَالَمِ** أَيْضًا» (الكاثوليكون)، وأيَّة مقدرة هذه!!

٧ – بمجرد أن تلقَّى الملاك كلمات الإيمان والتَّصديق من حوَّاء الثانية (العذراء مريم)، التي اشتمَّ الله فيها رائحة الرِّضا والسرور عِوَضًا عن خطية حوَّاء الأولى: «فَقَالَتْ مَرْيَمُ:

(١) لُبش ثيئوطوكيَّة يوم الاثنين من التسبحة السنويَّة المقدَّسة.

"هُوذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ"» حينئذٍ «مَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلَاكُ»؛ إذ بإيمانها هذا نالت الوعد الحقيقي بميلاد المخلِّص، إذ حلَّ النور الحقيقي في عالمنا المُظلم، وذلك على مثال إبراهيم الذي «آمَنَ بِاللهِ فَحُسِبَ لَهُ بِرًّا» (البولس).

كما أنَّ العذراء استحقَّت التطويب في إنجيل باكر (لو ١١: ٢٠ – ٢٨)، حيث قالت إحدى النساء للربِّ يسوع: «طُوبَى لِلْبَطْنِ الَّذِي حَمَلَكَ وَالثَّدْيَيْنِ اللَّذَيْنِ رَضِعْتَهُمَا. أَمَّا هُوَ فَقَالَ: بَلْ طُوبَى لِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ وَيَحْفَظُونَهُ». وقد شمل هذا التطويب أُمَّه القدِّيسة مريم أيضًا، لأنها عملت بكلام ابنها وإلهها، كما إنه لا يزال يشمل كلَّ مَنْ يعمل مثلها حتى نهاية الدهور. لذلك، أصبح كلُّ مَنْ يقترب إلى سرِّ التجسُّد الإلهي الذي بدأ منذ أن تمَّت موافقة العذراء: «لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ»؛ يشعر باحتياجه إلى تنفيذ كلام الله لموسى في الإبركسيس: «اخْلَعْ نَعْلَ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ»! **(يتبع)**

****

«الكلمة صار جسدًا وحلَّ فينا»

للقدِّيس كيرلس الكبير

[إنَّ تأكيده (أي يوحنا الإنجيلي) بأن: «الكلمة حلَّ فينا» ذو منفعةٍ عُظمى، لأنه بذلك يكشف لنا سرًّا من أعمق ما يمكن. فإننا جميعًا كنَّا في المسيح، والشخصيَّة البشريَّة العامة تستعيد فيه الحياة. ولذلك فإنه يُدعَى "آدم الأخير"، لأنه يُغني طبيعتنا المُشتركة بكلِّ ما يؤول إلى السعادة والمجد، كما أمدَّها "آدم الأول" بما يؤول إلى الفساد والعار.

لقد حلَّ الكلمة في الجميع بواسطة الواحد، حتى إذا ما تعيَّن هذا الواحد ابنًا لله بقوَّةٍ من جهة روح القداسة (رو ١: ٤)، تمتدُّ هذه الكرامة إلى البشريَّة كلِّها، وبسبب الواحد منَّا يُدركنا القول: «أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ» (مز ٨١: ٦ في السبعينية)...

أفلَا يظهر بجلاءٍ للجميع أنه نزل إلى مستوى العبد، ليس لكي يربح من ذلك شيئًا لنفسه، بل لكي يُنعِم علينا بشخصه، فنغتني بافتقاره (٢كو ٨: ٩)، ونرتقي بمُشابهتنا له إلى صلاحه الخاص الفائق، ونكون آلهةً وأبناءً لله بالإيمان؟

لقد حلَّ الكلمة في الجميع بحلوله في هيكل جسده الواحد المأخوذ مِنَّا ولأجلنا، حتى يقتني الجميع في نفسه، فيُصالح الكلَّ في جسدٍ واحد مع الآب، كما قال بولس (أف ٢: ١٦)].

(شرح إنجيل يوحنا ١: ١٤)

****

الأَولَوِيَّات المُقدَّسة في الحياة المسيحيَّة

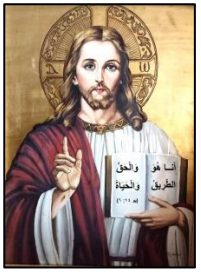

● «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يو ١٤: ٦).

تمهيد:

ارتَبطَ الإيمان المسيحي منذ البداية، بمثالٍ واضحٍ في السلوك والحياة، آخِذًا نموذجه الكامل لهذا السلوك من شخص الربِّ يسوع وحياته، الذي قال: «تَعَلَّمُوا مِنِّي لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ» (مت ١١: ٢٩)، وأيضًا: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ» (يو ١٤: ٦). وهذا الأمر كان ضروريًّا بالنسبة لنا في حياتنا، لأنَّ السلوك والأعمال التي نَعملها، تُمثِّل الصَّدى الحقيقي والبُرهان الصادق على صِدق إيماننا بالمسيح، وعلى مدى فهمنا وإدراكنا لعُمق هذا الإيمان، وذلك بحسب ما يقول يعقوب الرسول بالروح: «هَكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا، إِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ أَعْمَالٌ، مَيِّتٌ فِي ذَاتِهِ» (يع ٢: ١٧).

وصار ضروريًّا لكلِّ مسيحي، أنْ يكون على دراية وإدراك لطبيعة السلوك اللائق بالحياة المسيحيَّة، والأولويَّات التي تَحكم هذه الحياة وفق الإيمان الصحيح بالمسيح، والتي ينبغي أنْ تُمثِّل له خطَّة طريق واضحة، لتحقيق غاية هذا الإيمان. ومِنْ ثمَّ تكون مسيرته المسيحيَّة مُؤَمَّنة بتعاليم الربِّ يسوع نفسه، وتحت قيادة وإرشاد الروح القدس الذي يُنير له معالِم هذه المسيرة.

وتوجد بعض الأولويَّات الهامَّة، التي يجب على كلِّ مسيحي أنْ يَضعها في قلبه ونصب عَينيه، لكي ما يُكمِّل مسيرة حياته المُقدَّسة في المسيح بلا تَعثُّر؛ نُوجزها فيما يلي:

١ – **أَولَوِيَّة محبَّة الله، ومحبَّة القريب** (الوَصيَّة الأولى والعُظمى، والثانية مثلها).
٢ – **أَولَوِيَّة طلب الحياة الأبديَّة وحساب نفقتها.**
٣ – **أَولَوِيَّة الصُّلح والسلام مع الله ومع الآخرين.**
٤ – **أَولَوِيَّة مُراجعة النَّفس والتفتيش عن عيوب الذات.**
٥ – **أَولَوِيَّة نقاوة القلب الداخليَّة.**

أوَّلًا: أَولَويَّة محبَّة الله، ومحبَّة القريب:

عندما سُئل الربُّ يسوع من أحد الكَتَبة عن أيَّة وصيَّة هي **أوَّل كلِّ الوصايا**؟ أجابه الربُّ يسوع: «إِنَّ **أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا** هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلَ. الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. **هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى. وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ.** لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ» (مر ١٢: ٢٩ – ٣١). من هذا نرى أنَّ الربَّ يسوع نفسه قد وَضَع وصيَّة محبَّته من كلِّ القلب، وشَهِدَ لها بأنَّها أوَّل الوصايا وأعظمها، وعلى كلِّ ساعٍ نحو الحياة الأبديَّة اقتناؤها وحفظها في قلبه وعقله بكلِّ حرصٍ واهتمام. كذلك، حينما يُعاتب الروح القدس ملاك كنيسة أفسس، على لسان القدِّيس يوحنا الرسول، يقول له: «وَلَكِنْ عِنْدِي عَلَيْكَ: أَنَّكَ **تَرَكْتَ مَحَبَّتَكَ الأُولَى.** فَاذْكُرْ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتُبْ» (رؤ ٢: ٤).

فمحبَّة الله من كلِّ القلب والاشتياق إليه، هي أولويَّة قُصوَى لتأمين سلامة مسيرتنا المسيحيَّة، كما يهتف داود النبي: «يَا اللهُ، إِلَهِي أَنْتَ. **إِلَيْكَ أُبَكِّرُ**» (مز ٦٣: ١)، وأيضًا يقول بالروح: «**رَأْسُ الْحِكْمَةِ** مَخَافَةُ اللهِ» (مز ١١١: ١٠). ثمَّ يؤكِّد بطرس الرسول على شهادة الربِّ يسوع، عن أولويَّة محبَّة القريب أيضًا، لكَوْنها شاهدًا على محبَّة الله نفسه؛ فيقول بالروح: «وَلَكِنْ **قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ**، لِتَكُنْ **مَحَبَّتُكُمْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ شَدِيدَةً**» (١بط ٤: ٨).

لذلك، يُمكننا القَول: إنَّ أوَّل الأولويَّات في طريق الحياة المسيحيَّة، هي محبَّة الله ومحبَّة القريب؛ والتي بدونهما لن نقدر أنْ نَنجح في مسيرتنا الروحيَّة.

ثانيًا: أَولَويَّة طلب الحياة الأبديَّة وحساب نفقتها:

يُخاطبنا الكتاب المقدَّس، على فم الربِّ يسوع قائلًا: «**اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ** وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ» (مت ٦: ٣٣)، وأيضًا يقول القدِّيس بولس الرسول بالروح: «فَإِنْ **كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ**، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ» (كو ٣: ١). كما يُحذِّر أيضًا بولس الرسول، من خطورة ضياع الهدف نحو الحياة الأبديَّة، والعَوْدَة لحياة الخطيَّة، فيقول بالروح: «أَبَعْدَ مَا **ابْتَدَأْتُمْ بِالرُّوحِ** تُكَمَّلُونَ الآنَ بِالْجَسَدِ؟» (غل ٣: ٣).

لذلك يَلفِت الربُّ يسوع انتباهنا إلى أَولَويَّة التَّخطيط لحياتنا الأبديَّة؛ وذلك بضرورة الجلوس **وإعداد حسابات النَّفَقة أوَّلًا**، والتَّهَيُّؤ للجهاد والحرب الروحيَّة، والاستعداد لها،

من أجل الوصول إلى هذه الغاية.

ثالثًا: أَولَويَّة الصُّلح والسلام مع الجميع:

يُخاطبنا الربُّ يسوع في موعظته على الجبل، قائلًا: «فَإِنْ قَدَّمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، **وَاذْهَبْ أَوَّلًا اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ**، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ» (مت ٥: ٢٣، ٢٤). فالربُّ يُعلن بوضوح أنَّ ذبيحتنا وصلاتنا وتقدماتنا لن تُقبَل، إنْ لم **نتصالح أوَّلًا** مع الجميع، ونُثَبِّت روح الغفران والصَّفح والتَّصالُح مع كلِّ إنسان، **كأولويَّة قُصوى** وضروريَّة قبل التقدُّم إلى الله بذبيحتنا وصلواتنا! وهذا لا يَتأتَّى سوى بتأكيد روح المُصالحة، وحفظ السلام؛ بالغُفران والتسامح، كما سامحنا المسيح، لكي نتأهَّل للتقدُّم لله بِدالَّة، للشَّركة ونَيْل ما نَبتغيه.

رابعًا: أَولَويَّة مُحاسبة النفس، والتَّفتيش عن عيوب الذات:

يقول الربُّ يسوع: «وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلا تَفْطِنُ إِلَيْهَا؟... يَا مُرَائِي، **أَخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ الَّتِي فِي عَيْنِكَ**، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ» (مت ٧: ٣،٥)، وداود النبي يُصلِّي قائلًا: «خَطِيَّتِي أَمَامِي **فِي كُلِّ حِينٍ**» (مز ٥١: ٣). إذن، فهناك **أولويَّة مُهمَّة للإنسان المسيحي، أنْ يَبدأ بمُحاسبة نفسه،** وإصلاح عُيوبه ونقائصه وخطاياه **أوَّلًا**، قبل أنْ يَتوجَّه بالنقد والدينونة للآخرين. وهذا الأمر لن يَحدث إنْ لم يَتَّضع الإنسان، ويَشعر بضَعفه، ويبدأ في تَوجيه المَلامة لنفسه، على ضعفاته وخطاياه. وحينئذٍ، لن يَجد الإنسان وقتًا أو مجالًا لدينونة الآخرين، بل سَيُسرِع ليُقدِّم تَوبةً صادقة، ويُعيد حساباته مع نفسه، من جِهة سلوكه وأفكاره وتكاسله وضعفاته! لأنَّه – كما عَلَّمنا آباؤنا القدِّيسون – لا يُمكن لإنسانٍ أنْ يترك ميِّتَه (أي خطاياه الخاصَّة)، ويبكي على مَيِّتِ غيره (خطايا الآخرين وضعفاتهم)، أو يدينهم عليها. والقدِّيس العظيم بولس الرسول يَهتف بالروح بكلِّ اتِّضاعٍ واعترافٍ بضعفه قائلًا: «**الْخُطَاةُ الَّذِينَ أَوَّلُهُمْ أَنَا**» (١تي ١: ١٥).

لذلك صار من **أهم الأَولويَّات** في حياة الإنسان المسيحي، أنْ يبدأ دائمًا **بِفَحص نفسه، وتفتيش ذاته، ومُحاسبتها على ضعفاتها** وسقطاتها، **أوَّلًا بأول**؛ وذلك من أجل تقديم توبة صادقة عنها وإصلاح مسيرته، لئلَّا يَتَعَوَّق ويَتَعَطَّل خلاصه، بسبب دينونته للآخرين، وتَرْك نفسه دون إصلاحٍ أو تَوبةٍ.

خامسًا: أَولَويَّة نقاوة القلب والضمير من الداخل:

القلب النقيُّ هو القلب الذي يملأه الحُبُّ لجميع الناس، والانسكاب من أجلهم أمام الله، وأصحاب القلوب النقيَّة هم وَحدَهم القادرون على الصلاة عنهم ومن أجلهم؛ وذلك بحسب ما يُوصي القدِّيس بولس الرسول تلميذه تيموثاوس بقوله بالروح: «**فَأَطْلُبُ أَوَّلَ كُلَّ شَيْءٍ، أَنْ تُقَامَ طِلْبَاتٌ** وَصَلَوَاتٌ وَابْتِهَالَاتٌ وَتَشَكُّرَاتٌ لأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ» (١تي ٢: ١).

وأصحاب القلوب النقيَّة هم أولئك الذين يَنطبِق عليهم القول: «**أَعْطُوا نُفُوسَهُمْ أَوَّلًا لِلرَّبِّ**» (٢كو ٨: ٥)، وهم المُؤهَّلون وحدهم للتَّقدُّم بدالَّة أمام الله، ليكونوا شُفعاء عن آخرين، بُرهانًا على نقاوة وطهارة قلوبهم، هؤلاء الذين شهد عنهم الربُّ يسوع حينما قال: «**طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ**» (مت ٥: ٨).

وقد حَذَّر الربُّ يسوع من مَغَبَّة الوقوع في رياء المظاهر والمُمارسات الشَّكليَّة، دون طهارة ونَقاء القلب والضمير؛ وذلك حينما وَبَّخ الكَتَبة والفرِّيسيِّين قائلًا:

+ «... نَقِّ أَوَّلًا دَاخِلَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ لِكَيْ يَكُونَ خَارِجُهُمَا أَيْضًا نَقِيًّا ... هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا: مِنْ خَارِجٍ تَظْهَرُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَارًا، وَلَكِنَّكُمْ مِنْ دَاخِلٍ مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَإِثْمًا» (مت ٢٣: ٢٦، ٢٨).

فنقاوة القلب، إذن، تُمثِّل **أحد أهم الأَولويَّات** أيضًا، الواجب الاجتهاد لاقتنائها لكلِّ السائرين في طريق ملكوت الله، لتَصير حياتهم ذبيحةً حيَّةً مقدَّسةً مرضِيَّةً لله.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القدِّيس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر – فرع الميرغني

****

من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة

من خلال التغلُّب على الأهواء والصمت[١]

(٢٤)

١ – إبادة (مُلاشاة) الأهواء:

طريقة أخرى تأتي بنا إلى معرفة الله، هي التغلُّب على أهواء الشخص الداخلية. قال باسكال Pascal ذات مرَّة:

"عندما يميل عقلك ليؤمن، ولكنك لا زلتَ لا تستطيع الإيمان، فعدم قدرتك أن تؤمن يكون سببه أهواؤك. حاول، إذن، ليس أنْ تقنع نفسك بمُضاعفة الأدلَّة على وجود الله، ولكن بتقليل أهوائك".

الخطاة الذين هم عبيدٌ لشهواتهم الخاطئة، يصبحون مخلوقات تحب الظلمة، كما قال الرَّب يسوع:

«وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً»، وأيضًا: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ السَّيِّآتِ يُبْغِضُ النُّورَ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى النُّورِ لِئَلاَّ تُوَبَّخَ أَعْمَالُهُ» (يو ٣: ١٩ – ٢٠).

كثيرون هم مثل بعض الهوام التي تهرب للاختباء كلما أضاء النور: «وَأَمَّا مَنْ يَفْعَلُ الْحَقَّ فَيُقْبِلُ إِلَى النُّورِ، لِكَيْ تَظْهَرَ أَعْمَالُهُ أَنَّهَا بِاللهِ مَعْمُولَةٌ» (يو ٣: ٢١).

لهذا، لو أنك كنتَ تعيش في ظلمة الخطية، فسوف لا تريد أنْ تعرف الله الذي هو نور، سوف تظل تهرب منه.

العلَّامة أوريجانوس Origen، الذي هو أحد أعظم معلّمي الكنيسة الأولى، والذي كان أول عالِم في الكتاب المقدَّس، عندما كان يُعلّم تلاميذه عن الله، فقد كان يُؤمِن جدًّا أنَّ معرفة الله لن تكون مُمكنة طالما عاش تلاميذه في المعصية والخطية؛ ولذا كان يشتغل معهم

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy*.

ليُساعدهم في استئصال أهوائهم الخاطئة.

وصف أحد العلماء طريقة أوريجانوس على النحو التالي:

"أوريجانوس قطع وأزال تمامًا أعشاب العناد والاندفاع والبلادة مِن شخصيات وعقول تلاميذه، أحيانًا بالتَّفنيد أو المنع، وأحيانًا بإزعاجهم وبالحظر. كان ردُّ فعلهم مثل العديد مِن الخيول الجامحة، حتى خفَّض أوريجانوس هجومه إلى الهدوء. لقد قام بتهذيبهم وتثقيفهم".

القدِّيس غريغوريوس صانع العجائب Gregory Thaumatourgos، وهو مِن تلاميذ أوريجانوس، كان يسرد ويُعدِّد كلَّ العوائق، وكان أوريجانوس بالصَّبر يرتقي بالتَّعليم الرُّوحاني والأخلاقي، وكيف استطاع أوريجانوس أنْ يُغذِّيهم في طريق الفضيلة.

الناس الذين يختارون أنْ يعيشوا في الظلام سوف لا يجدون النور، وسوف لا يأتون إلى معرفة الله لأنهم لا يريدون أن يجدوه. الله الذي هو نور، يكشف ويفضح ظلام أهوائهم الخاطئة. لهذا السبب يحثُّهم باسكال أنْ لا يطلبوا أدلَّة أكثر لوجود الله، لكن عليهم أنْ يستأصلوا الظلام الذي في حياتهم مِن خلال التوبة، لكنَّهم لا يزالون يعملون العكس. فبدلًا من أنْ يُعدِّلوا حياتهم نحو النور الذي هو المسيح، نجدهم يعودون إلى الظلام. لا أحد يمكنه أنْ يعرف الله بدون أن يأتي أوَّلًا من الظلام للنور خلال التوبة.

الأب فيلوكسينوس المنبجي Fr. Philoxinos of Mabbug (٤٤٠ – ٥٢٣م)، الأسقف اللاهوتي يصف الموت الروحي الذي يأتي على الشخص الذي يعيش في ظلام الخطية، فيقول:

"حتى لو أنَّ آلاف الأبواق رنَّت في آذان الموتى، فإنَّهم سوف لا يسمعونها أبدًا. هذا هو الحال مع الروح ... التي فقدت كلَّ تذكار الله؛ وأيضًا الروح التي لا تُفكِّر في الله أبدًا على مدار اليوم، فإنَّها لا تسمع صوت الكلمة الذي يدعوها، وبوق الكلمة لا يوقظها. لقد غرقت في نوم الموت... وأشواقها لِمَا في السماء قد ماتت. بحسب الطبيعة هي حيَّة، ولكن إرادتها ماتت وحريتها قد اختفت".

يُعلِّم القدِّيس غريغوريوس النيصي ويقول إنَّ الإنسان لا يمكنه أنْ يأتي لمعرفة الله إلى أن تُنَقَّى مرآة روحه: "المشوَّهة بالصَّدإ والمُلطَّخة بالذنب". يلزم أنْ يُزال الصَّدأ من المرآة التي هي الروح لتستعيد جمالها الأصلي. كيف يتحقَّق هذا؟ يُجيب القدِّيس غريغوريوس ويقول:

"بتنمية فضائل الروح خصوصًا النقاء والحرية من الأهواء".

تكتب هيلدا جريف Hilda Graef وتقول تعليقًا على قول القدِّيس غريغوريوس:

"روح الإنسان خُلقت على صورة الله كمرآة تعكسها. لكن مثل مرآة معدنية مشوَّهة بالصَّدإ، أي إنَّ الروح المُلطخة بالخطية لم تَعُد تُظْهِر هذه الصورة. يجب أنْ يُزال الصَّدأ من المرآة، التي هي الروح، حتى يعود جمالها الأصلي ويظهر من جديد. نحقِّق ذلك بتنمية فضائل الروح ... هذه الفضائل التي تقودنا للقداسة تؤسِّس داخلنا ملكوت الله وتُعيد بناء الصورة. وكما يرى الإنسان الشمس نفسها عندما يراها منعكسة في المرآة؛ هكذا أيضًا الإنسان الذي تنقَّى مِن الأهواء، يرى الله نفسَه عندما يُدرك صورته في روحه"[٢].

النتيجة لهذا التطهير هي رؤية ومعرفة الله التي هي: "ثمرة الحياة النقيَّة" التي تتحقَّق من خلال حفظ الوصايا ومُمارسة النُّسك.

٢ – السُّكون (الصَّمت) HESYCHIA:

طريقة أخرى يمكننا بها معرفة الله هي مِن خلال السُّكون والصَّمت، لأن الغرض منهما هو أنْ نُصغي إلى الله، ولا يمكننا أن نعرف الله لو لم نأخذ وقتًا لنُصغي إليه. لذلك نحتاج إلى الصمت.

غرض السكون، بحسب آباء الكنيسة، هو أن تهبط مع العقل داخل القلب، وهناك تقف في حضرة الله. إنَّه ليس فقط وقت الصمت، عدم الكلام؛ بل الإصغاء لله الذي يسكن في الهيكل الداخلي للروح. لهذا السبب قال القدِّيس أرسانيوس St. Arsenius:

[العزلة والصمت هما لقاء مع الله مِن خلال الصلاة].

يُضيف الأب جون مايندورف Fr. John Meyendorff ويقول:

"منذ التجسُّد، أصبحت أجسادنا هي «هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي (يسكن) فينا» (١كو ٦: ١٩). هناك، داخل أجسادنا يلزمنا أن نبحث عن الروح القدس، داخل أجسادنا التي قدَّستها الأسرار وطعَّمها القربان المقدَّس في جسد المسيح. الآن يمكننا

(2) Gregory of Nyssa, *The Lord's Prayer: The Beatitudes*. Translated and annotated by Hilda C. Graef. ACW, vol 18, Pauline Press. NY. 1954.

أنْ نجد الله في داخلنا؛ لم يعُد خارجنا. لذلك نجد نور جبل تابور داخلنا"[٣].

منهج الصلاة الأرثوذكسيَّة يُعَلِّم السكون الداخلي. الجسم والعقل يأتيان إلى العزلة والهدوء لأجل اختبار السلام والسَّكينة التي تُحيط بعرش الله. الهدف غير المحدود هو اتِّحادٌ سرِّيٌّ بالله في سياق الصمت.

يكتب الأسقف كاليستوس وير في ذلك ويقول:

"الشَّخص الـ hesychast الذي يدخل في الهيزيخيا hesychia، أي الهدوء الروحي والسُّكون والهدوء الدَّاخلي أو الصمت، هو أفضل بكثير مِن الذي يسمع فقط، فهو ينصت لصوت الصلاة في داخل قلبه، ويفهم أنَّ ذلك الصوت ليس له لكن لآخر (الله) مُتحدِّثًا داخله".

الصَّمت silence كطريق لمعرفة الله معروفٌ في التَّقليد الأرثوذكسي بالسكون Hesychia. إنَّه مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بالهدوء الذهني nepsis، والطهارة katharsis (اليقظة ونقاء القلب). ومِن جهة معرفة الله فلا يمكن معرفته لو لم يتنقَّ katharsis القلب بدموع التوبة. قال الرَّبُّ يسوع: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ» (مت ٥: ٨). السكون Hesychia، واليقظة الروحيَّة nepsis، والطهارة katharsis معًا تصف الأرثوذكسيَّة وتُعرِّفها. بدون هذه الثلاثة أعمدة، فلا يمكن تصوُّر الأرثوذكسيَّة كتابيًّا ولا آبائيًّا.

السكون أو الصَّمت هو إحدى الدرجات على سُلَّم الصعود الإلهي، كما وَصَف ذلك القدِّيس يوحنا السُّلَّمي في قوله:

[محبُّ الصمت يقترب إلى الله. يتحدَّث إليه في سرِّيَّة، ومِن ثمَّ فإنَّ الله يُنير له ... الصمت هو أبو الصلاة، نموُّ المعرفة ... تقدُّم خفي، هو الرحلة العظيمة إلى الأعلى][٤].

يشرح ذلك الأب ديادوخس الفوتيكي Diadochos of Photiki ويقول:

"عندما يُترك باب حمَّامات البخار مفتوحًا باستمرار، فإنَّ الحرارة بالداخل تهرب مِن خلاله؛ كذلك الروح ففي رغبتها أنْ تقول العديد مِن الأشياء يتبدَّد ذِكْرها لله مِن خلال باب الكلام، حتى ولو كان كلُّ شيء تقوله ربَّما يكون جيِّدًا ... لذلك فإنَّ الصمت

(3) John Meyendorf. *St Gregory Palamas and Orthodox Spirituality*. SVS Press, Crestwood, NY. 1974.

(4) John Climacus. *Ladder of Divine Ascent.* Paulist Press, Paramus, NJ, 1982.

في الوقت المناسب ذو قيمة ثمينة، لأنَّه ليس أقل من أب الأفكار الأكثر حكمة".

عندما يفقد الإنسان أحد أحبَّائه بسبب الموت، فإنَّ إحدى أصعب المهام الشَّاقَّة التي يمكن أنْ يتحمَّلها هي الصَّمت في منزل كان في السَّابق نَشِطًا وصاخبًا. أنْ نعيش الحياة بمفردنا في صمت فهذا ليس بالأمر السهل. يحاول الكثيرون أنْ يكسروا الصمت بالضوضاء والصَّخب، إمَّا بتشغيل الراديو أو التلفاز، ومع ذلك، ففي الصمت يمكننا مواجهة حزننا وسماعه. هناك طريقة أفضل بكثير وهى تكوين صداقة مع الصَّمت.

كيف يمكن للمرء تكوين صداقة مع الصَّمت؟ ذلك مِن خلال الاستخدام التأمُّلي لصلاة يسوع، وقراءة الكتاب المقدَّس، والسماح لله بالتحدُّث إلينا مِن خلال كلمته، والصلاة بترنيمة الفصح الجميلة "المسيح قام...".

نحن نحتاج إلى تكوين صداقة مع الصَّمت لجعل الصَّمت صديقًا لنا. "السكون Hesychia، هو عبادة وخدمة لله بلا انقطاع"، كما يقول القدِّيس يوحنا السُّلَّمي. الصَّمت يمكن أنْ يقودنا إلى الله مِن حيث إنَّ الله لا يوصف بكلمات. الصَّمت هو لغة الحياة القادمة. يلعب الصمت دورًا أساسيًّا في الطريق الذي يؤدِّي إلى معرفة الله.

٣ – بعض الاكتشافات العظيمة أُنجِزَت في صَمْت:

في الصَّمت تمَّ تحقيق بعض أعظم الاكتشافات في العالم. أرشميدس Archimedes اكتشف قانون الثِّقل النَّوعي specific gravity بينما كان مسترخيًا في حمامه. اكتشف جاليليو Galileo قاعدة البندول pendulum الأساسيَّة بينما كان يُصلِّي بصمتٍ في كاتدرائية بيزا Pisa.

عندما يستخلص عالِم اليوم بعض أسرار الطبيعة، فهو لا يضع أجهزته في وسط الشوارع المُزدحمة والصَّاخبة، لكن في بعض المعامل البعيدة والهادئة، حيث ينتظر الطبيعة أنْ تتكلَّم. عندما ينتظر الإنسان الله أنْ يتكلَّم، يلزمه أنْ يُغلق باب العالم، يجب عليه أن يُصادِق الصَّمت وهو يُنجز أبحاثه.

القدِّيس أوغسطينوس كتب مُعلِّقا على مريم أخت لعازر التي كانت جالسة عند قدمَي الرب يسوع مُستمعة لكلماته عن الحياة الأبديَّة؛ بينما مرثا أختها كانت مشغولة تعمل في المطبخ: [مرثا التي هي نحن الآن، بينما مريم هي ما نأمل أن نكونه].

كَتَب مار إسحق أسقف نينوى يقول:

[الصَّمت مثل ضوء الشمس سيُنيرك في معرفة الله، ويُخلّصك مِن أشباح الجهل. الصَّمت يوحِّدك مع الله].

"الصَّمت"، وأنتَ تستمع إلى الله، وتقرأ وتتأمَّل في كلمته، وتهبط بالعقل في داخل القلب مع الصلاة؛ فهذه هي وسيلة لا غِنًى عنها لمعرفة الله.

"إنَّ مرثا هي ما نحن عليه، ومريم هي ما نأمل أن نكونه"، كما يقول القدِّيس أوغسطينوس. كيف؟ ذلك مِن خلال الصَّمت، والذي يُمكِّننا أنْ نُقاد به إلى حضور الله ذاته.

وبحسب كلمات جيمس ر. بايتون James R. Payton:

"لهذا، فإنَّ "الحديث عن الله" في اللاهوت الأرثوذكسي – إذا تمَّ على النحو الصحيح – فهو يقودنا إلى السُّكون وإلى التأمُّل الهادئ الصافي في الله. هذا التصوُّف ليس تجنُّبًا للقراءة في الكتاب المقدَّس أو هروبًا منه، لكنَّه هو إجلالٌ وخشوعٌ أمام الله الذي تنازَل بلُطفٍ شديد ليكشف لنا عن نفسه في الكتاب المقدَّس.

هذا الإله، إلهنا، يتجاوز كلَّ الكلام والوصف وكلَّ محاولة منَّا لأن نفهمه. ومع ذلك فقد أعلن عن نفسه لنا. حقًّا وإنْ لم يكن ذهننا غير منفتح (على الأمور الإلهيَّة)، ولكن يمكننا الاعتماد على ما قاله وكشفه الله لنا. ولكن الأرثوذكسيَّة تؤكِّد أنه بينما نفعل ذلك، يجب أنْ ننتقل من الفكر والتصوُّر إلى التأمُّل. ووفقًا للَّاهوت الشَّرقي المسيحي، لا ينبغي أن يتحوَّل عِلْم اللَّاهوت إلى صراع عقائدي وجدال، بل إلى الصَّمت والتصوُّف والعبادة"[٥].

وهكذا مِن خلال الإيمان، والنُّسك، ونقاء القلب، والتواضُع، والتَّوبة، والطاعة، والصَّمت؛ لا يمكننا أنْ نُقابل الله فقط، بل أنْ نتَّحد به[٦].

النتيجة:

الهدف النهائي مِن معرفة الله هو الاتِّحاد به.

---

(5) James R. Payton St., *Light from the Christian East: An Introduction to the Orthodox Tradition.* Inter Varsity Press. Downers Grove, Il. 2007.

(6) Vladimir Lossky, *The Mystical Theology of the Eastern Church.* James Clarke and Co. Ltd. London. 1968.

أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار جرجس القبطيَّة الأثريَّة

(٢)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

١٠ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بسمادون:

يوجد مبنى هذه الكنيسة الحديثة في شمال أشمون في قرية سمادون[١]. وبالكنيسة برج للجرس، وطُرقة خارجية من الثلاث جهات الغربية والجنوبية والشمالية، وبهذه الطُّرقة شُرفة مُخصَّصة للسيِّدات. كما توجد قبَّة اسطوانية شاهقة الارتفاع في منتصف سقف صحن الكنيسة. وبالقبَّة فتحات وهي محمولة على أربعة مثلثات كروية في الأركان الأربعة. ويُحيط بهذه القبَّة أربعة قبوات مُدبَّبة. وفي الناحية الشرقية، توجد الثلاثة هياكل التقليدية، والهيكل الأوسط منها تُغطِّيه قبَّة عالية.

١١ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بسرس الليان:

تبعد هذه الكنيسة المُشَيَّدة في قرية سرس الليان بحوالي سبعة كيلومترات عن الباجور[٢]. وهي كنيسة صغيرة نسبيًّا وشبه مربعة التخطيط. وبها قبَّتان فقط: الأولى تعلو الهيكل الأوسط في الناحية الشرقية. أمَّا الثانية، فهي أمام الهيكل، ويبدو مبنى الكنيسة حديثًا، وكذلك القباب وحامل الأيقونات.

١٢ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بحصَّة أكوه:

شُيِّدت هذه الكنيسة على بُعْد عشرة كيلومترات جنوب كفر الزيات[٣]. ويؤدِّي مدخلها في الحائط الغربي إلى صحن به أربعة أعمدة تعلوها عقود ترتفع فوقها قبَّة عالية. وفي أركان الكنيسة قباب ترتكز على مثلثات كروية. ويُحيط بالقبَّة الوسطى أربع قباب أو أربعة قبوات متقاطعة.

---

(١) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٧٣.
(٢) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٧٥.
(٣) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٧٦.

ويعلو الهياكل الشرقية الثلاثة كذلك قباب، أكثرها ارتفاعًا القبَّة الوسطى.

١٣ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بقليوب:

وفى بدايات القرن الثالث عشر الميلادي، أشار أبو المكارم إلى الكنيسة الحاليَّة التي بُنِيَت في نفس موقع الكنيسة القديمة للقدِّيس مار جرجس في قليوب البلد[٤] **(الشكل رقم ٥/أ – ب).** كما أكَّد على وجود كنيسة بها للسيِّدة العذراء، وربما قَصَدَ المؤرِّخ أن يقول مقصورة أو هيكل العذراء مريم. والمبنى الحديث للكنيسة هو من تصميم المهندس المعماري بديع حبيب جورجي. ويوجد بداخل هذا المبنى حامل أيقونات أثري من الخشب المُطعَّم، وأيضًا بعض الأيقونات والمخطوطات الأثريَّة.

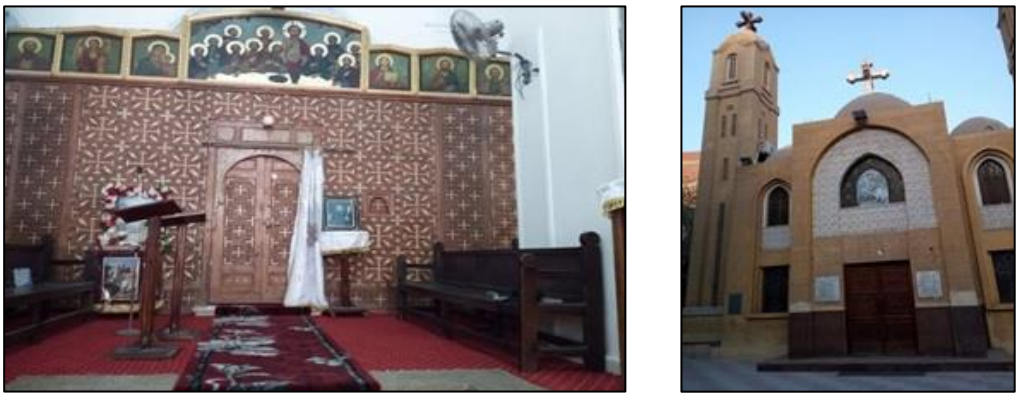

(أ) **(ب)**

(الشكل رقم ٥/أ - ب) كنيسة القدِّيس مار جرجس من الداخل ومن الخارج في قليوب. نقلًا عن:
https://www.facebook.com/Qalyub24/posts

١٤ – دير القدِّيس مار جرجس للراهبات بمصر القديمة:

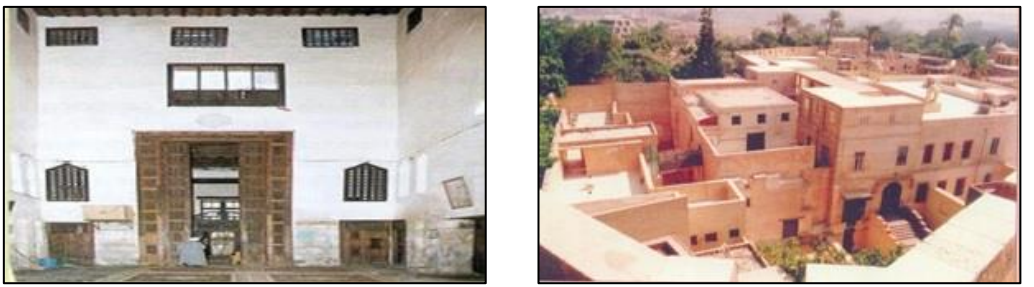

(أ) **(ب)**

(الشكل رقم ٦/أ - ب) دير القدِّيس مار جرجس للراهبات ومقصورته الأثريَّة بديره العامر بمصر القديمة.

(٤) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٨٠.

أشار كلٌّ من المؤرِّخَيْن المقريزي وابن دقماق في العصر المملوكي إلى هذا الدير المُشَيَّد حاليًّا في منطقة مجمَّع الأديان أو مصر القديمة. ويعتقد البعض أنَّ الدير الحالي يرجع إلى عصر المعلّم إبراهيم الجوهري، أي إلى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. كما يرى آخرون أنَّ مبنى الدير الحالي يرجع إلى بدايات القرن العشرين في عصر البابا كيرلس الخامس (١ نوفمبر ١٨٧٤م – ٧ أغسطس ١٩٢٧م). وجميع مباني الدير في الوقت الراهن حديثة، باستثناء قاعة واحدة مستطيلة كانت مُخصَّصة للصلاة[٥]. وينخفض مستوى أرضيتها عن مستوى أرضية باقي مباني الدير **(الشكل رقم ٦/أ – ب).** ويتمُّ الدخول إليها من الحديقة من خلال سُلَّم يؤدِّي إلى ممرٍّ طويل ينتهي بباب على اليمين، وهو بمثابة مدخل جانبي لسكن الراهبات.

كما يوجد باب آخر على اليسار، وهو المدخل الحالي لهذه القاعة الأثريَّة الكبيرة التي يحيط بجدرانها الأربعة حجرات ضيِّقة تعلوها نوافذ مستطيلة، بأعلاها نوافذ أخرى مربعة وأصغر في الحجم بالقرب من السقف. كما يوجد في شرق هذه القاعة باب خشبي شاهق الارتفاع، حيث يصل ارتفاعه إلى سبعة أمتار تقريبًا. ويتكوَّن هذا الباب من أربعة ضلف بها ما يقرب من أربعين حشوة خشبية مستطيلة الشكل تُزيِّنها الزخارف النباتيَّة والهندسيَّة، إضافة إلى بعض أشكال الطيور والحيوانات المُتقابلة والمُتدابرة والمُتجاورة. وبعض هذه الحشوات الخشبية تمَّ تجديدها حديثًا. وتتشابه زخارف هذا الباب وأساليبه الصناعية مع الأبواب والألواح الخشبية المحفوظة حاليًّا في متحف الفن الإسلامي بباب الخلق بالقاهرة، والتي عُثِر عليها في بيمارستان السلطان المملوكي سيف الدين قلاوون الألفي (فترة الحُكْم ٦٧٨–٦٨٩هـ/ ١٢٧٩ – ١٢٩٠م) بشارع المُعزِّ في حي الجمالية، لذا يؤرَّخ هذا الباب الخشبي الأثري الكبير من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، أي إنه من العصر الفاطمي.

وبعد اجتياز هذا الباب، يتمُّ الدخول إلى مقصورة القدِّيس مار جرجس[٦]، وبها أيقونة أثريَّة عليها توقيع الفنان الشهير يوحنا الأرمني. كما توجد سلسلة معدنية وأيقونات أخرى حديثة للقدِّيس مار جرجس وجزء من رفاته. وسقف هذه القاعة شاهق الارتفاع.

وفي هذا الدير، عُثِر كذلك على ألواحٍ خشبية أخرى من العصر الفاطمي، منها ما نُقِل إلى

(5) Ch. Coquin, *Les édifices chrétiens du Vieux–Caire*, vol.1, IFAO, Le Caire, 1974.

(6) *The Escape to Egypt According to Coptic Tradition*, Cairo (Monastery of the Religious Women for St. George Monastery) 1993.

المتحف القبطي بمصر القديمة. وقوام زخرفة هذه الألواح أشكال طيور وحيوانات لا سيَّما الجِمال والخيول، إلى جانب أشكالٍ آدميَّة لبعض لاعبي الأكروبات. وتتميَّز هذه الألواح الخشبية بأساليبها الصناعية المختلفة التي كانت شائعة في العصر الفاطمي، وبالأخصِّ أسلوب الطلاء وأيضًا أسلوب الحفر على مستويين. ويحتوي دير القدِّيس مار جرجس للراهبات حاليًّا على عدَّة كنائس حديثة، بالإضافة إلى سكن الراهبات ومكتبة لبيع التذكارات السياحيَّة.

١٥ – كنيسة القدِّيس مار جرجس وقاعة العرسان:

(الشكل رقم ٧)
قاعة العرسان بمصر القديمة من الداخل.

شُيِّدت الكنيسة الأصليَّة شمال حصن بابليون الروماني غير أنه لم يتبقَّ منها إلَّا قاعة مستطيلة ترجع إلى القرن السابع – الثامن الهجري/ القرن الثالث عشر – الرابع عشر الميلادي[٧] **(الشكل رقم ٧).** وبجانبها بُنِيَت كنيسة حديثة تُعرَف بنفس الاسم، وهي بازيليكية التخطيط، وبها بعض الأيقونات الأثريَّة التي اكتُشِفَت في الكنيسة القديمة قبل احتراقها بالكامل منذ ما يقرب من ١٣٥ سنة تقريبًا. وتتكوَّن قاعة العرسان حاليًّا من مستويين. وكانت تُستخدم في قضاء السهرات الروحانية والاحتفال بالأفراح. ويؤدِّي مدخلها إلى دركاة يُحيط بها إيونات، كان يوجد حولها حجرات مياه ومطابخ في الناحية الشرقية والناحية الغربية منها. وعلى الأجزاء العلوية من جدرانها الداخلية، تظهر بعض الزخارف النباتية التي تعكس تأثير الفن الإسلامي في العصر المملوكي، لا سيَّما ذلك العنصر النباتي الضخم المعروف باسم "البخارية". وتوجد سلالم داخلية للصعود إلى الطابق العلوي لقاعة العرسان.

(يتبع)

(٧) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٩٠.

الأدلَّة
على وجودِ الله وظهورهِ[١]
تأليف: د. سهيل مدانات
(١)

هل الله موجود؟

هل هناك إلهٌ فعلًا يراني ويرعاني، أم أنَّني أهيمُ وَحدي في كَونٍ أصم لا يسمعني ولا يراني ولا يكترث بي، بلا اتِّجاه، ولا بوصلة ... "في بحارٍ تئنُّ فيها الرياح، ضاع منها المجداف والملَّاح"؟

ما طبيعة هذا الإله، إنْ كان موجودًا؟ ومَنْ هو؟ هل هو مُحتجبٌ فِعلًا؟ هل هو مُعتزلٌ عنَّا؟

كيف أعرفُه؟ وما الطريق إليه؟ ماذا يريد مني؟ وكيف أُرضيه؟ هل أقدر أنْ أُرضيه؟

كيف أعرف الجواب بيقينٍ تام؟

الإجابات كثيرة، وكلُّ شخصٍ له إجاباته، وإجابات كلِّ شخصٍ تعتمد على نظرته إلى الكون.

ماذا إذا لم يكنْ الله موجودًا؟

"ما الحياةُ إلَّا خيالٌ يتمشَّى، ممثِّلٌ مسكينٌ، يتبختر ويتعثَّرُ على المسرح، ثمَّ لا يُسمَعُ بَعْدُ"[٢].

نعم، إذا لم يكن الله موجودًا، ولم تكنْ هناك حياة بعد الموت؛ فالحياةُ هنا باطل الأباطيل وقَبْض الريح، وما الإنسانُ إلَّا خيالٌ يتمشَّى، يؤدِّي دورَه على خشبةِ المسرح ... ثم ينتهي.

هل يمكن أنْ يكون خلفَ هذا الكون، وخلف وجودِك، إلهٌ شخصيٌّ صالحٌ وقدير، خلق الكون، ثم خلق الإنسان ليكون تاج خليقته؟ خَلَقه لعلاقة حبٍّ شخصيَّة أبديَّة. هل يمكن أنْ يكون الإنسان موجودًا لقصدٍ عظيم، لحياةٍ لا لِموت؟

الحياة ليست باطل الأباطيل، لأنَّ ما هو تحت الشمس ليس كلَّ شيء، هناك مَنْ هو فوق الشمس. والذي هو فوق الشمس، اخترق عالم ما تحت الشمس قبل ألفيِّ عام في وجه طفل حملت عيناه نور الحياة الأبديَّة، وتحمَّلت يداه لعنة الموت والخطيَّة، ثم قام ساحقًا الموت، لتحيا أنت.

إذا كان الله موجودًا، فأيُّ مجدٍ ينتظر مُحبِّيه؟ وإذا كان الله موجودًا، ولكنَّه غائبٌ عن حياتك، فأيَّ سلامٍ فقدتَ؟ وأيَّ مجدٍ خَسِرْتَ؟

---

(١) الكتاب صادر عن دار منهل الحياة بالشراكة مع دار الثقافة، طبعة أولى: بيروت ٢٠٢٥. يقع الكتاب في ٥٤١ صفحة من القَطْع الكبير.

(٢) هذه العبارة اقتبسها المؤلِّف من الروائي الإنجليزي المشهور وليم شكسبير، وهي منقوشة أسفل تمثاله التذكاري في مسقط رأسه، وهي من تراجيديَّته المعروفة "ماكبث".

لا يمكن أنْ تهدأ ويطمئنَّ قلبُك ما لم تتيقَّن ١٠٠٪ دون أدنى شكٍّ، بأن ما ينتظرك هو الأبديَّة.

وبعدُ، فالكتاب ينقسم إلى ثلاثة أجزاء. الجزء الأول: يستعرض النظرات الكونيَّة الرئيسيَّة في العالم. والجزء الثاني والجزء الثالث: يستعرضان الأدلَّة على وجود الله، ثم الأدلَّة على ظهوره بالجسد[٣].

الجزء الأول: النظرات الكونيَّة.

النظرة الكونيَّة (World view) لشخص ما، تتكوَّن من مُجمل معتقداته الدينيَّة والفلسفيَّة. ومن المهم في البداية الإشارة إلى أنَّ كلَّ شخصٍ إنَّما يحمل نظرةً ما إلى الكون، سواء نظرة دينيَّة أو فلسفيَّة، سواء مُتطوِّرة أم بدائيَّة، وسواء كان حاملُها مُثقَّفًا مُتعلِّمًا أم لا! لذلك، فالبحث في النظرات الكونيَّة لا يقتصر على معشر الفلاسفة واللاهوتيِّين، بل يخصُّ كلَّ عاقل. فنظرتك الكونيَّة هي، ببساطة، نظرتك للحياة. ولعلَّ منشأ هذه النظرة هو محاولة الإنسان حلَّ لُغز الحياة المُتمثِّل في المُعضلات التي تواجهه، كحتميَّة الموت، وقسوة الطبيعة، وسرعة تغيُّر الأشياء.

يُشبه مفهوم النظرة الكونيَّة نظَّارة يضعُها الشخص على عينيه، فتُلوِّن كلَّ ما يراه بلَونِها. ولكن، مهما كثر عدد النظَّارات واختلف المنظور من خلال كلٍّ منها، لا بدَّ أنْ تكون إحداها صحيحةً في عالم خلقه الله. فإذا كان الله موجودًا فعلًا، وقد صمَّم الكون وخلقه؛ أ فلَيس منطقيًّا أنْ نتوقَّع لهذا الكون مرجعيَّةً ثابتةً ومعنًى وهدفًا مُحدَّدًا؟ وما دام الله قد خلَقَنا على صورته وشبهه، وأعطانا عقلًا يُفكِّر ويُحلِّل ويتساءل، بحيث نستطيع أنْ نتواصل معه، أ فلَيس منطقيًّا أنْ نتوقَّع منه أنْ يكشف عن النظرة الحقيقيَّة للكون، نظرته هو، المُصمِّم الخالق؟ إذًا، فالنظرة الكونيَّة الصحيحة، ليست افتراضيَّة تخمينيَّة ولا شخصانيَّة مُتغيِّرة؛ بل هي قائمة على عناصر أدِلَّة موضوعيَّة قابلة للاكتشاف، لأنَّ الله خلق الإنسان لكي يبحث عن الحقيقة ويسير بنورها.

يستعرض الكاتب بعد هذه المقدِّمة أهم النظرات الكونيَّة، والديانات البشريَّة، والفلسفات الإنسانيَّة، والعقائد الإلحاديَّة التي تطوَّرت على ممرِّ الأزمنة. وسنكتفي هنا فقط بِذِكْر النظرة المسيحيَّة للكون.

المسيحيَّة:

❖ جاءت المسيحيَّة بمنظورٍ مُتكاملٍ للكون، مُختلف عن كلِّ ما سبق أو تبع، يشمل منشأ الإنسان وقيمته، وهدف حياته ومعنى وجوده، ومسارَ تاريخِه ومآله. في الكتاب المقدَّس نجد نظرة كونيَّة واحدة مُتَّسقة، بدأت من العهد القديم على لسان أنبيائه العبرانيِّين في انتظارهم لمجيء المسيح، وسارت بخُطًى ثابتة على مرِّ قرون الزمان إلى أن تبلْوَرت في العهد الجديد وتجلَّت بمجيء المسيح وتجسُّده في ملء الزمان، وسيكتمل تنفيذها بمجيئه الثاني في نهاية الزمان.

---

(٣) وهذا ما سنُقدِّمه في الأعداد القادمة.

❖ كَتَبَ أسفار الكتاب المقدَّس نحو أربعين كاتبًا على مدى ألف وخمسمائة عام، ولكنْ بلا اجتهاداتٍ أو تخميناتٍ فلسفيَّة، وبلا خُزَعبلاتٍ أو أساطير؛ بل اشتركوا جميعهم على مرِّ تاريخهم في تسجيل مراحل تحقيق نظرة كونيَّة يقينيَّة واحدة مُتكاملة، وجَّهت مسارَهم المُشتَرك على دَرْب انكشاف خُطَّة الله الصالحة التي لأجلها عاشوا، وعلى رجاء تتميمها ماتوا.

❖ بدأ الكون كلُّه، وهو يقوم ويستمدُّ كينونته ووجوده من خالقه. والله، كمُصمِّم الكون، هو على علاقة مع خليقته، لكنه ليس جزءًا من الكون، بل هو منفصلٌ عنه ويسمو فوقه. وكأبٍ مُحبٍّ وراعٍ صالح، يتَّصل بالإنسان ويتفاعل معه، بطُرُقٍ مباشرة وغير مباشرة، في مسارٍ ذي قصد ومعنى إلى هدفٍ نهائيٍّ صالح. وهو لهذا يُخطِّط التاريخ ويُسيِّره بحكمةٍ وفطنةٍ باتجاه تحقيقِ هذا الهدف.

❖ وبعد أنْ خلق الله الكون مِن لا شيء، وهيَّأ الأرض بكلِّ ما فيها مِن ماء ونبات وحيوان وسمك... كمهدٍ مُريح لساكنها العتيد؛ خلق الله الإنسانَ مِن تراب الأرض، ونفخ فيه نَسَمَة حياة، خلقه لعلاقة حبٍّ مُتبادَلة، فيها يغمر الإنسانَ بحبِّه وخيره ومجده، وفيها يعترف الإنسان بالله ويُحبُّه ويعبدُه بفرحٍ وابتهاج. خلق الله الإنسانَ على صورته وشبهه، أي خلقه كيانًا شخصيًّا عاقلًا حرَّ الإرادة، لأنَّ الحبَّ خيارٌ حرٌّ لا يُفرض ولا يُشترى. ولذلك سمح الله بوجود نقيضه، إبليس، ليكون في وِسع الإنسان الحُرِّ أنْ يختار، لأنَّ الحريَّة الفعليَّة تقتضي وجود خَيار. ولكنَّه حذَّره من عاقبة انتهاك الوصية. ثم حدث ما حدث، وطُرد الإنسان من محضر الله، وتبع ذلك أنَّ خليقة الله الحسنة فسدت، وأنبتت له الأرض شوكًا وحسكًا في صورة كوارث طبيعيَّة وأمراض.

❖ ولكن هذا الإله، على الرغم مِن غضبه المقدَّس على تمرُّد مخلوقه عليه، لم يفقدْ حبَّه تجاه صُنعِ يدَيه وتاج خليقته، ولم يتركه في جهل ظُلمته، بل رتَّب له خُطَّة خلاص لا مثيل لها.

❖ أتى الكتاب المقدَّس بنظرةٍ ناقضت جذريًّا كلَّ النظرات الكونيَّة جميعِها. عرَّفنا أنَّ الله كيانٌ شخصيٌّ حيٌّ، يحبُّ خليقته ويهتمُّ بها ويتواصل معها ويرعاها. في المسيحيَّة لم يُخبرنا أحدٌ عن الله، بل أخبرنا الله نفسُه عن ذاته، وأعلن لنا عن شخصه بتجسُّد أقنوم الابن ليشترك معنا في بشريَّتنا، ويعيش معنا على أرضنا بكلِّ لعناتها ومآسيها، متألِّمًا وجائعًا معنا، مُشرَّدًا مع فقرائنا، مُجالِسًا عشَّارينا وزوانينا، مُتَّبعًا عاداتنا وتقاليدنا، فَرِحًا مع فَرِحينا وباكيًا مع باكينا، مُجرَّبًا مثلنا في كلِّ شيءٍ ما خلا الخطيَّة، ثم مصلوبًا بين لصوصنا، ثم كاسرًا شوكة الموت بقيامته وصاعدًا إلى السماء، ليسود مِن هناك راعيًا شعبه على الأرض، ومالئًا بروحه كلَّ مَنْ قَبِلَ خلاصه.

❖ وبينما نرى الديانات تُسَيِّر الإنسان في طريقٍ طويل مُضنٍ لبحثٍ مستحيل عن الله، نرى إله الكتاب المقدَّس، يأخذ زمام المُبادرة ليبحث هو عن الإنسان الضال، ليُعيد علاقة حبٍّ حميميَّة أفسدها السقوط والتمرُّد. **(يتبع)**

الفهرس العام لمقالات المجلة عام ٢٠٢٥م

صَدَرَت المجلة في ١٠ أعداد عن الشهور من يناير – ديسمبر ٢٠٢٥م
ما عدا شهرَي يوليو وأغسطس ٢٠٢٥م، وهما العطلة السنويَّة للمجلة
(الرقم الأول يُشير إلى الشهر، والثاني إلى الصفحة)

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:
١/ ٢ «افْرَحُوا كُلَّ حِينٍ»
١/ ٢ «صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ» (١)
١/ ٣ "صَلُّوا كلَّ حينٍ" (٢)
٢/ ٤ «اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ»
١/ ٥ «لَا تُطْفِئُوا الرُّوحَ»
١/ ٦ «مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ»
١/ ٩ «لَا تُطْفِئُوا الرُّوحَ»
١/١٠ «امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ» (أ)
١/١١ «امْتَحِنُوا كُلَّ شَيْءٍ» (ب)
١/١٢ هدف الوحدة المسيحيَّة

أخبار الكنيسة:
٦/ ٢ تطييب ونقل أجساد ورفات أربعة عشر بطريركًا إلى مقصورتهم الجديدة
٦/ ٦ زيارة قداسة البابا تواضروس الثاني إلى دولة بولندا
٦/١١ الاحتفال بالذِّكرى المئويَّة السابعة عشرة لمجمع نيقية ...
٦/١٢ انعقاد المؤتمر العالمي السادس للجنة الإيمان والنظام ...

مقال للأب متى المسكين:
٨/ ١ ميلاد المسيح حياتنا
١٤/ ٢ الصوم وحياة الاقتداء بالمسيح
٦/ ٣ توبة الخاطئ وفرح الله – الابن الضال
٧/ ٤ "أوصنَّا"، "هوشعنا"، أي "خلِّصنا"
٦/ ٥ "رؤية القيامة"
١٠/ ٦ الروح القدس والرهبنة
٦/ ٩ الصليب مصدر فرح ومجد
٤/١٠ حاجتنا إلى المسيح
٩/١١ المُصاحلة
١٥/١٢ معجزة التجسُّد الإلهي

انتقال راهب فاضل:
١٨/ ٦ المريض الشاكر الأب ويصا المقاري
١٠/ ٩ الراهب الطَّيِّب القلب الأب استفانوس المقاري

من أقوال الآباء:
١٧/ ١ الظهور الإلهي
٢١/ ٢ النبي الهارب والشعب التائب (١)
١٢/ ٣ النبي الهارب والشعب التائب (٢)
١١/ ٤ انظري جروحي
١١/٥ بالموت داس الموت وبقيامته وهب الحياة
١٣/ ٩ الحثُّ على الاستشهاد
١٥/١٠ قوَّة الروح القدس والخليقة الجديدة
١٣/١١ تجسُّد الله الكلمة
٢٢/١٢ عظة عن التجسُّد الإلهي

من كتابات الآباء الرسوليين:
١٠/١٠ رسالة القدِّيس إغناطيوس المتوشِّح بالله إلى أهل أفسس

عظة آبائيَّة:
٢١/٦ يوم الخمسين

تعاليم آبائيَّة:
١٩/١٠ الحريَّة الحقيقيَّة
١٧/١١ محبَّتنا لله وللقريب

بمناسبة شهر كيهك المبارك:
٢٥/١٢ فوائد قراءات شهر كيهك المبارك (١)

بمناسبة عيد الميلاد المجيد:
٢٣/١ ميلاد حبيبنا الرب يسوع
٢٧/١ ميلاد المسيح

بمناسبة أعياد الظهور الإلهي:
٣١/ ١ بين الميلاد والغطاس فرح الخليقة المحبوبة

بمناسبة تذكار دخول المسيح الهيكل:
٢٧/ ٢ «الآنَ يَا سَيِّدِي ...»

بمناسبة الصوم المقدَّس:
٣٢/ ٢ عظة عن: موسم الصوم الكبير
١٧/ ٣ قصَّة الحبِّ العجيب

بمناسبة تذكار الصليب المقدَّس:
٢٢/ ٣ لماذا نُعيِّد للصليب؟

بمناسبة أسبوع الآلام:
١٥/ ٤ دموعٌ في طريق الحبِّ الإلهي

بمناسبة خميس العهد:
٢٢/ ٤ معجزة الإفخارستيَّا

بمناسبة الجمعة العظيمة:
١٥/ ٤ موت المسيح على الصليب

بمناسبة الخمسين المقدَّسة:
١٥/ ٥ أساس المسيحيَّة هي قيامة المسيح

بمناسبة عيد الصعود المجيد:
٢٥/ ٥ «لِنَقُمْ وَنَصْعَدُ إِلَى بَيْتِ إِيلَ»

بمناسبة عيد العنصرة:
٢٧/ ٦ روح الله في سرِّ الميرون

من قصص شهداء الكنيسة القبطيَّة :

١٨/٩ الشمَّاس يوحنا بن مرقس من قرية فانيد جوبت

من قصص الشهداء :

٢٢/٩ استشهاد الأُمِّ وأبنائها السبعة

بمناسبة مرور ١٧ قرنا على انعقاد مجمع نيقية :

٣٧/٦ المجمع المسكوني الأول نيقية ٣٢٥م

مقال مُترجم :

٢١/١١ الاتِّحاد بالمسيح

تأملات في تدبير الخلاص :

٣٤/٤ قصة "عماليق" وتدبير الخلاص

ادخل إلى العمق :

٣٥/١ (٤٨) «وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ»

٣٧/٢ (٤٩) الامتلاء بالروح إعدادٌ لطريق الصليب

٢٦/٣ (٥٠) دمُ المسيح: كأس الخلاص، وهِبَة الحياة

٤٠/٤ (٥١) «مَنْ يُدَحْرِجُ لَنَا الْحَجَرَ»

٢٠/٥ (٥٢) « تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ»

٣٢/٦ (٥٣) عِتَاب المحبَّة

٣٢/٩ (٥٤) الخدمة شهادة محبَّة للمسيح

٢٥/١٠ (٥٥) «مَنْ هُوَ قَرِيبِي؟»

٢٦/١١ (٥٦) «آدمُ ... أين أنتَ؟»

٣٢/١٢ (٥٧) الأولويَّات المقدَّسة في الحياة المسيحيَّة

قصة رمزيَّة ذات مغزى :

٢٦/٩ جبَّارٌ فَقَدَ قوَّته

دراسات كتابيَّة :

٤٢/٢ «دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (١)

٣٠/٣ «دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (٢)

٣١/١٠ "السَّالِكونَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ " (١)

٣١/١١ "السَّالِكونَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ " (٢)

من التراث الكنسي :

٣٩/١ معرفة الله: من خلال البحث عنه (١٥)

٤٩/٢ معرفة الله: من خلال المسيح (١٦)

٣٥/٣ معرفة الله : من خلال المسيح (١٧)

٤٤/٤ معرفة الله: من خلال المسيح (١٨)

٣١/٥ معرفة الله: من خلال قضاء وقت معه (١٩)

٤٢/٦ معرفة الله: من خلال قضاء وقت معه (٢٠)

٣٧/٩ معرفة الله: من خلال طاعة إرادته (٢١)

٣٧/١٠ معرفة الله: من خلال طاعة إرادته (٢٢)

٣٦/١١ معرفة الله: من خلال طاعة إرادته (٢٣)

٣٦/١٢ معرفة الله: من خلال التغلُّب على الأهواء والصمت (٢٤)

بحث تاريخي :

٤٤/١ أديرة الملاك ميخائيل الأثريَّة في مصر (١)

٥٢/٢ أديرة الملاك ميخائيل الأثريَّة في مصر (٢)

٤٠/٣ أهم أديرة وكنائس القدِّيس أبي السيفين الأثريَّة في مصر (١)

٤٩/٤ أهم أديرة وكنائس القدِّيس أبي السيفين الأثريَّة في مصر (٢)

٣٥/٥ أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار مينا العجائبي الأثريَّة في مصر (١)

٤٦/٦ أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار مينا العجائبي الأثريَّة في مصر (٢)

٤٢/٩ أديرة وكنائس منفلوط الأثريَّة (١)

٤٢/١٠ أديرة وكنائس منفلوط الأثريَّة (٢)

٤١/١١ أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار جرجس القبطيَّة الأثريَّة (١)

٤٢/١٢ أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار جرجس القبطيَّة الأثريَّة (٢)

تقديم كتاب :

٤٨/١ (٢٩) سياحة المسيحي

٥٧/٢ (٣٠) جماليات النَّص الكتابي

٤٥/٣ (٣١) لماذا أنا لستُ مُلحِدًا؟

٥٤/٤ (٣٢) المسيحيُّون العرب سيرة ومسيرة

٤٠/٥ (٣٣) الأحجار تتكلَّم

٥٠/٦ (٣٤) الاحتكام للآباء

٤٦/٩ (٣٥) التقليد الأرثوذكسي

٤٧/١٠ (٣٦) شريك عرش مملكة مجدك

٤٦/١١ (٣٧) مدخل إلى النقد النَّصِّي للعهد الجديد

٤٦/١٢ (٣٨) الأدلَّة على وجود الله وظهوره (١)

حول العالم :

٤٧/٣ أخبار متنوعة

٥٧/٤ أخبار متنوعة

٤٢/٥ أخبار متنوعة

مقال بالإنجليزية : للأب متى المسكين

٥٦/١ Living With Christ, Vol. 4, 45-47

٦٤/٢ Living With Christ, Vol. 4, 48-49

٥٢/٣ Living With Christ, Vol. 4, 50-51

٦٤/٤ Living With Christ, Vol. 4, 52-53

٤٨/٥ Living With Christ, Vol. 4, 54-55

٥٦/٦ Living With Christ, Vol. 4, 56-58

٥٢/٩ Living With Christ, Vol. 4, 59-61

٥٦/١٠ Living With Christ, Vol. 4, 62-64

٥٢/١١ Living With Christ, Vol. 4, 65-67

٥٦/١٢ Living With Christ, Vol. 4, 68-70

من تعليم آباء الكنيسة مُترجم عن اليونانية :

غلاف ١ المعموديَّة استنارة وبنوَّة وكمال

غلاف ٢ فَلْنحبَّ المسيح وحده

غلاف ٣ السَّامريَّة الحَازَة بالروح

غلاف ٤ فلنحترس لئلَّا نُكلِّل يسوع بأشواكنا

غلاف ٥ لمَّا صَعِدَ الربُّ صار ينقش فينا صورته الإلهيَّة

غلاف ٦ الروح القدس، ثوب نور الخلاص

غلاف ٩ الاستشهاد أمام الضمير

غلاف ١٠ التوازُن في شخصيَّة القدِّيس أثناسيوس الرسولي

غلاف ١١ غاية مجيء الرَّبِّ وظهوره

غلاف ١٢ اشترك في كياننا،
ليجعلنا نشترك في كيانه

صـور الغلاف:

وجه ١ العذراء حاملة طفلها الإله المتجسّد
ظهر ١ معموديَّة ربّنا يسوع المسيح
وجه ٢ «ثُمَّ أَصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ»
ظهر ٢ المسيح في البريَّة
وجه ٣ أيقونة التجسُّد والصليب
ظهر ٣ الإمبراطور قسطنطين وأُمّه هيلانة
وجه ٤ دخول المسيح أورشليم
ظهر ٤ إقامة لعازر
وجه ٥ نزول المسيح إلى الجحيم
ظهر ٥ ظهور المسيح لتلميذَي عمواس
وجه ٦ يوم الخمسين
ظهر ٦ رئيس الملائكة الجليل ميخائيل
وجه ٩ الشـهداء قزمـان ودميـان الطبيبـان وإخوتهمـا: أنثيمـوس، ليـونس، افربيوس؛ وثيئودوت أُمهم
ظهر ٩ إصعاد جسد العذراء القدّيسة مريم
وجه ١٠ أيقونة الشفاعة
المسيح جالسًا على عرشه
ظهر ١٠ ظهور الله مع ملاكين لإبراهيم
وجه ١١ أيقونة الكنيسة السمائيَّة
ظهر ١١ بشارة الملاك جبرائيل للعذراء مريم
وجه ١٢ العذراء والطفل يسوع
ظهر ١٢ المسيح ضابط الكل

****

الاتِّحاد الإعجازي

للقدِّيس غريغوريوس النزينزي

[يا له من اتِّحادٍ من نوعٍ جديد! يا له من التحامٍ إعجازي!
الكائن بذاته يشترك في الصيرورة (قد صار جسدًا)،
غير المخلوق يجعل نفسه مخلوقًا، غير المُحوَى يصير محويًّا،
وذلك بتوسُّط نفسٍ عاقلة تتوسَّط بين لاهوته وكثافة الجسد.
الذي يُغني الجميع يجعل نفسه مُفتقرًا،
فقد افتقر بأَخْذ جسدي لكي أغتني أنا بلاهوته.
الذي هو "الملء" قد أفرغ نفسه،
أفرغ نفسه من مجده إلى حين لكي يجعلني أنا شريكًا في ملئه.
فما أغنى صلاحه، وما أعظم هذا السر الذي صنعه لأجلي!
كنتُ شريكًا في صورته، ولم أُحافظ على الصورة،
والآن قد اشترك في جسدي، ليُجدِّد فيَّ هذه الصورة،
بل ويجعل جسدي أيضًا خالدًا.
فقد أعطاني شركةً معه أعجب جدًّا من الشركة الأولى:
ففي القديم أشركني فيما هو أفضل مني (أي صورته ومثاله)؛
وأمَّا الآن فقد اشترك هو في أردأ ما فيَّ (ليُخلِّصني منه)،
وهذا العمل الأخير يُظهِر صلاحه الإلهي
بطريقةٍ أسمى جدًّا من العمل الأول لدى ذوي الفهم]! **(عظة ٤٥: ٩)**

****

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

Father Matta concludes his meditations on the Gospel of St John, a task he often used to talk about to his disciples the monks. Enjoy! Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 68

"'Jesus, therefore, knowing all things that would come upon Him, went forward and said to them, "Whom are you seeking?" They answered Him, "Jesus of Nazareth." Jesus said to them, "I am He"' (John 18:4, 5).

HERE started the countdown for Christ's crucifixion. He was praying in the Garden of Gethsemane in the Mount of Olives with His disciples, when a multitude, and with them Judas Iscariot His disciple who betrayed Him, came out with lanterns lighting the way for them, and with swords and clubs as against a monster or a robber. Christ had just finished praying, knowing the hour in which He would be betrayed. Then, He, who has overcome the world, courageously said to them, "Whom are you seeking?" They answered Him, "Jesus of Nazareth." He said to them, "I AM He…"

Thus, they took courage and seized Christ, leading Him to Annas the retired high priest and from him to Caiaphas. They mocked Christ and slapped Him on the face, and in the morning, they gave Him up to Pontius Pilate the Roman governor. Then started the great tragedy by the hands of the soldiers and the mobs—beating Him on His head and spitting on His face. They stripped Him and scourged Him with forty stripes minus one, causing His flesh to be torn and His blood flowed. Then, Christ was convicted by Pilate, who could not deliver Him from the hands of the priests who assailed Him. Thus, it was their hour and the power of darkness[1] which the enemy constructed and for which he subjugated all of the irrational Jews and all of the Roman soldiers who knew no mercy. They mocked Him with the utmost scorn, as though the devil knew his

[1] Luke 22:53.

hour and so he used them with the utmost exploitation.

Christ remained chained all night, standing before the Jews as a criminal until morning, then they delivered Him to Pilate and his soldiers. The latter did to Him the unimaginable from beating Him on His head and face, leaving nothing unstricken. His body was so bruised from the scourge's flogging on His naked back. They did not leave Him until Pilate started questioning Him, where He confessed the good confession in the midst of the death threats. Thus, Pilate heard the words of Christ and he went out to tell the high priests and the assembled crowd "I find no fault in Him."[2] But the response was, "Crucify Him, crucify Him!"[3] So he said to them, "Shall I crucify your King?" So they answered in defiance, "We have no king but Caesar."[4] Thus, he delivered Christ to them to crucify. They crucified Him and fulfilled in Him all they had desired, and He remained silent. For He saw in all of this the fulfillment of His calling. Christ was crucified, died on the cross and was buried; and on the third day He rose as He had foretold. Therefore, in this manner did Christ fulfill all the work of the Father, and He went to Him in heaven carrying the spirit of man along with his sentence of death, and He appealed to the Father for forgiveness, and moreover, for glory of man. Then, the Father seated Him on His right hand in proclaiming consubstantiality. Nevertheless, the most remarkable thing in all this is that He seated with Him man after He had overcome the world for him, delivering him to the hand of the Father. Humanity's sins were forgiven and without a single debt as He had paid the whole price with His living blood.

Thereby, Christ would have fulfilled all the works of the Father that He had put on Him. Thus, He pleased the Father and granted man His glory, sonship and everlasting inheritance in heaven. And so, man returned to his original status prior to the fall, and Christ reconciled him with the heavenly Father so that he may enter into the love of the Father and be granted what Christ had expressed, and the angels paraded him to his happy home.

December 31, 2005

---

[2] John 19:4.
[3] Luke 23:21.
[4] John 19:15.

Chapter 69
"Put your sword into the sheath. Shall I not drink the cup which My Father has given Me?" (John 18:11).

NOW is not a time for fencing or swordsmanship, for the hour had been set from eternity and has arrived in its due time, and the Lord is ready, rather,

yearning for it. Christ called it "this is your hour, and the power of darkness,"[1] for Christ had entered at the doorstep of the cross. None of the works of the devil terrified Christ or frightened Him, but the only thing that made Christ pray a prayer that was contained in His wounded heart was that, in the cross and in the accusation, He bore the sins of blasphemy against God along with mockery of His glory.

For how could He accept this transgression which is directed toward the Father, how could Christ accept His being considered a blasphemer or one denying His existence? For Christ became clothed with all sins, standing before the Father as a sinner, carrying blasphemies against God. Likewise, how could He face the Father while bearing sins that degrade God's greatness? Thus, He prayed and asked repeatedly, wept and grieved in the spirit, asking that He pass from Him the cup of blasphemies toward God His Father. When He saw that even the Father was silent and did not offer Him an answer on this matter, Christ held His peace and said to the Father that if that was His commandment and His work, then so be it, and Christ waited for what was about to come upon Him. "Shall I not drink the cup which My Father has given Me?" Indeed, He drank it to the end while groaning underneath its weight. Is this cup not ours that we should have drunk and not He? For it is we that have brought this upon Christ, and He is innocent of it. Who blasphemed against God? Was it not we? Who angered the Father with works not done except by demons? Do we sin while Christ pays the price of our ignorance? Nevertheless, so it was, and there was no way of ending man's debt before the Father, so Christ paid the price for us in full. Now is the hour of darkness, for the devil is the one who accused us and he is demanding his right, our death and crucifixion.

Thus, Christ faced the enemy, for He is the only One able to advocate, defend and be given as the ransom. For sin is not that of one person, but of all generations from Adam till the end of time. Who, then, can fathom the atrocity of the case? Its news worried the Father in heaven, for man had crossed the red line, where the works done by man through the enemy's push became an accusation against the Father as though the work of His own hands had ruined the work of the Father in heaven as Creator before the enemy of God and man. Sending the Son from heaven was not for an outing, rather the Father sent Him with the sword of justice raised over man's neck. That was the last moment that the Father had endured in regards to man. Thus, Christ came carrying the image of God's inevitable judgment on man, as if it were a losing case. Christ started it by calling out that the kingdom of heaven and judgment are at hand. Until the

[1] Luke 22:53.

last moment of the life of the Son on earth, He proclaimed the acceptable year as a last chance for man. Christ labored at defending man until he gained a small number of people who walked with Him and accepted without doubt that He is indeed Christ the son of God sent for the salvation of the man.[2] Nevertheless, even until the last moment of Christ's life, the disciples did not comprehend the meaning of the cross and death! Not until Christ rose from the dead and won the case of man with an unconcealed victory, when He disarmed the devil in the last moment and all his accomplices.[3] Christ broke his fatal sting, that is death, which is the devil's product present every moment. Christ raised with Himself from the dead, man who was trapped under the dust in all of the past ages. Thus, man rose, accepting victory against the world that Christ had granted him, and was justified by the blood of Christ to inherit the kingdom of heaven.

December 31, 2005

---

[2] Matthew 16:16.
[3] Colossians 2:15.

Chapter 70
"And it shall come to pass that whoever calls on the name of the LORD shall be saved" (Acts 2:21).

WE WENT OVER what happened in the life of Christ until the cross and the resurrection. And here we are, delving first and foremost into the book of Acts, which is the first book after the narrative of the story of salvation and redemption which Christ fulfilled on the cross. Here, we will start telling what happened after Christ's ascension, when the disciples started taking part in witnessing for the name of the Lord. The name of the Lord was working powerfully, as if Christ was in the Name.

And it came to pass that "whoever call[ed] on the name of the LORD [was] saved." Isn't that amazing?! For Christ, even though He was taken up from them and entered into the resting place of His glory, was working through His name. Thus, the disciples and the Lord's consecrated used to preach Christ's call of the imminence of the kingdom of God, rather the beginning of entering that kingdom. The disciples were preaching everywhere, proclaiming the name of the Lord. The name of Christ started showing that it has the power of His work, so that whoever called on the name of the Lord would join the disciples and declare his faith and salvation. Thus, the divine Spirit flowed in the Jewish community who accepted the Lord and lived in His name. Then, those who were saved also started to preach because of the Spirit burning in them, especially after the Holy

Spirit descended on the day of Pentecost, which used to be originally the feast of the harvest. It then became the feast of planting the name of Christ, which grew by the power of grace that was poured from heaven on everyone who believed and was saved.

The work of Christ continued from heaven, as if He were present with them in the spirit. Thus, the disciples were extremely encouraged, and they journeyed throughout all the regions surrounding Jerusalem, preaching the name of Christ. It came to pass that whoever called on the name of the Lord was saved easily. The Name was a heavenly power that accompanied the preachers.

The name of Christ still has the same power, from the first year since Christ's ascension until this day, two thousand years later, till it filled the whole earth. Those who were saved were thousands of thousands and ten thousand times ten thousand of saints of the Most High. The name of Christ remained the symbol of salvation and the driving force that propels the congregation of the faithful, not only for them to live and rejoice, but also to call and evangelize.

Just as Christ prophesied about what was about to truly happen, thus it was fulfilled: "If they persecuted Me, they will also persecute everyone who carries the Name."[1] For Satan's battle, even though Christ had crushed him, is that the broken devil recovers by reason of our sins, and he takes from us and stabs us. Thus, we became responsible for the devil's battle against us, for the name of Christ continues to be a terror to him. However, the devil keeps on distracting people from this name, and he obliterates its features in the hearts and bosoms of those who sold Christ and were too busy with the world. Nevertheless, the name of Christ still remains the wealth for those who struggle against the world and its desires, seeking a life of victory and glory while under the veil of this name. Heaven will pass away and earth with it, but all who held on the name of Christ will remain, witness, triumph and conquer, until Christ meets them above and puts on them His crown, the crown of victory, salvation and glory that never fades away.

Today, my beloved, we are among those who held on the Name. For, truly, it is our veil that covers us away from the world, and our strength that supports us while we are in our waning old age. Nevertheless, the Name gives us the heart of a lion and it strengthens us in the midst of the enemy's wars which do not cease, that we may conquer in the name of the Lord, who overcame the world for us and left it defeated under our feet. That we may cry out in the name of Christ and meditate on His love, and declare, "Come, you who are far from the Name, taste that the Lord is good."[2]

December 31, 2005

---

[1] John 15:20.
[2] Psalm 34:8.

He became what we are that we become what He is

[…] But following the only true and steadfast Teacher, the Word of God, our Lord Jesus Christ, who did, through His transcendent love, become what we are, that He might bring us to be even what He is Himself. For in no other way could we have learned the things of God, unless our Master, existing as the Word, had become man. For no other being had the power of revealing to us the things of the Father, except His own proper Word. For what other person knew the mind of the Lord, or who else has become His counsellor? Again, we could have learned in no other way than by seeing our Teacher, and hearing His voice with our own ears, that, having become imitators of His works as well as doers of His words, we may have communion with Him, receiving increase from the perfect One, and from Him who is prior to all creation.

Adv. Haer., V, pref &1

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Εἰρηναίου

[…] Τῷ δὲ μόνῳ βεβαίῳ καὶ ἀληθεῖ διδασκάλῳ ἑπόμενος τῷ Λόγῳ Θεοῦ Ἰησοῦ Χριστῷ τῷ Κυρίῳ ἡμῶν, τῷ διὰ τὴν ὑπερβάλλουσαν αὐτοῦ ἀγάπην γεγονότι τοῦτο ὅπερ ἐσμέν, ἵνα ἡμᾶς εἶναι καταρτίσῃ ἐκεῖνο ὅπερ ἐστὶν αὐτός. Οὐ γὰρ ἄλλως ἡμεῖς μαθεῖν ἐδυνάμεθα τὰ τοῦ Θεοῦ, εἰ μὴ ὁ διδάσκαλος ἡμῶν, Λόγος ὤν, ἄνθρωπος ἐγένετο. Οὐδὲ γὰρ ἄλλος υἱός τις ἦν ἐξηγήσασθαι τὰ τοῦ Πατρός, εἰ μὴ ὁ ἀΐδιος αὐτοῦ Λόγος. «τίς γὰρ ἄλλος ἔγνω νοῦν Κυρίου; ἢ τίς ἄλλος σύμβουλος αὐτοῦ ἐγένετο;» οὐδὲ πάλιν ἡμεῖς ἄλλως μαθεῖν ἐδυνήθημεν, ἀλλ’ ἢ βλέποντες τὸν διδάσκαλον ἡμῶν καὶ κατὰ τὴν ἡμετέραν ἀκοὴν μετέχοντες αὐτοῦ τῆς φωνῆς, ὥσπερ μιμηταὶ μὲν τῶν ἔργων, ποιηταὶ δὲ τῶν λόγων αὐτοῦ γινόμενοι, κοινωνίαν ἔχομεν μετ’ αὐτοῦ· ἀπὸ τοῦ τελείου καὶ πρὸ πάσης κτίσεως αὔξησιν λαμβάνοντες.

SC 153, p 15-19.

(From «τίς γὰρ ἄλλος ἔγνω... », it is a retroversion).

St. Mark*Monthly Review*

Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.

ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):

U.S. $150.00

Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:

“St Macarius Printing House”, P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.

No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.

© 2025 by the Monastery of St. Macarius the Great.

Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382

VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK December 2025

Monthly Review

Christ the Pantocrator

"Then I saw in the right hand of the one seated on the throne a scroll written on the inside and on the back, sealed with seven seals; and I saw a mighty angel proclaiming with a loud voice, "Who is worthy to open the scroll and break its seals? " And no one in heaven or on earth or under the earth was able to open the scroll or to look into it. Then I saw between the throne… a Lamb standing as if it had been slaughtered, having seven horns and seven eyes, which are the seven spirits of God sent out into all the earth" (Rev 5: 1-6).

Fresco dating back to 1537. The Moldovita Monastery, Romania